مجلة دراسات دوليّة

اسم المقال: استراتيجية الإدارة الامريكية الجديدة إزاء الشرق الأوسط
اسم الكاتب: أ.م.د. حسين حافظ وهيب
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/6945
تاريخ الاسترداد: 2025/04/22 12:06 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دوليّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

استراتيجية الادارة الامريكية الجديدة ازاء الشرق الاوسط(*)

الاستاذ المساعد الدكتور
حسين حافظ وهيب(**)

المقدمة

ادى انتهاء حكم الرئيس الامريكي السابق جورج دبليو بوش ليس الى تبدل في الاهداف الامريكية بل الى محاولة معالجة الخلل الناجم عن سوء تحقيق تلك الاهداف لا سيما على مستوى سياسة الولايات المتحدة الخارجية وتحديدا في منطقة الشرق الاوسط.

تلك المنطقة التي ستبقى ولعقود قادمة منطقة حيوية لمصالح الولايات المتحدة بالنظر الى موقعها الاستراتيجي وثرواتها النفطية والمالية والتزام الولايات المتحدة بأمن اسرائيل وسلامتها ووجودها والسعي لامكانية السيطرة ومنع انتشار الاسلحة النووية.

هذه الملفات التي اذا ما طرأ اي خفض في التعاطي الامريكي لاي منها فسيعود حتماً بالضرر على تلك المصالح. لذلك فان اية دراسة علمية موضوعية تتناول استراتيجية الادارة الامريكية الجديدة لا بد ان تتطرق الى مستويين اساسيين:-

الاول-المستوى الايديولوجي الذي يتضمن مجمل الرؤى والتصورات الفكرية لطبيعة تعاطي الادارة الجديدة مع دول المنطقة .

اما الثاني- فهو الذي يتخطى حدود الخطاب الايديولوجي الى الممكن تحقيقه من الممارسة الميدانية التي لا بد وان تتماهى مع المستوى الاول اذ يصعب الفصل المنهجي بين مستوى الخطاب ومستوى الممارسة الميدانية.

نحن بهذه الدراسة المتواضعة امام امكانية البحث عن الادوات الجديدة التي من خلالها تستطيع ادارة الرئيس اوباما ان تعالج العلاقة السببية التي انتجت ليس منطقة مأزومة من الداخل فقط. ولكن ايضاً علاقة اكثر تأزماً مع الولايات المتحدة ذاتها وعلى اكثر من صعيد، تكاد تُذهب بالمصالح الامريكية في اكثر من دولة في منطقة الشرق الاوسط، بمعنى اننا امام بحث غاية في الاهمية والاتساع والذي لايتناول حيثيات صنع القرار الامريكي انما الامكانيات المتاحة والسبل الضرورية للتغيير وسيتم التركيز على المتبنيات المطروحة لخطاب التغيير الذي افتتح به الرئيس اوباما عهده الجديد مبشراً بتبني سياسة اليد الممدودة لاكثر من طرف دولي في هذا العالم. ويتبين في هذا الشأن ان هناك اشكالا من التنسيق الاستراتيجي المرتكز على

(*) **المقصود بالادارة الامريكية الجديدة ادارة الرئيس باراك اوباما.**

(**) **قسم الدراسات الاستراتيجية – مركز الدراسات الدولية –جامعة بغداد.**

المتبنيات الفكرية التي تهتدي بها الادارات المتعاقبة في الولايات المتحدة والتي تتاثر بتيارات اساسية عدة اهمها ثلاث.

١. التيار المثالي المتجذر في السياسة الامريكية والذي يدعو الى التدخل المستمر في الشؤون الدولية على قاعدة المتبنى الفكري الذي يؤيد مبدأ انتشار الليبرالية ونظم الحكم الديمقراطية لاسيما وان منطقة الشرق الاوسط كونها بوصف فوكوياما تقع ضمن العالم التاريخي ولم تتجاوز بعد عتبة عالم ما بعد التاريخ هي بحاجة الى انتشار هذا المبدا .
٢. التيار الواقعي الذي يشدد على المصالح القومية للولايات المتحدة ويتحاشى المواجهة المستمرة والانغماس في الشؤون الدولية بمعنى ان هذا التيار يحاول الانصراف الى معالجة هموم الداخل ليس بالانفصال عن مؤثرات الخارج بل الاعتماد عليها كوسائل لتحقيق المصالح الامريكية ويبدو ان الرئيس اوباما هو الاقرب الى متبنيات هذا التيار .
٣. تيار صدام الحضارات الذي ظهر بعد تفكك الاتحاد السوفيتي وما زال دعاته يروجون لفكرة الخطر الداهم الذي يواجه الولايات المتحدة نتيجة الحتمية التاريخية لطبيعة التناحر بين الحضارات ولا سيما بين الاسلام والديانات الاخرى.

وهو التيار الذي لاقى ترحيباً من لدن الادارة السابقة(ادارة المحافظين الجدد) وكان سبباً مباشرا لجملة الاخطاء التي أُرتكبت في منطقة الشرق الاوسط خصوصاًوالعالم الاسلامي عموماً.

هذه التيارات ليست في الواقع أفكارا متضاربة أو مفصولة فصلاً نهائياً ، وانما هي مناهج في التفكير يستطيع صناع القرار السياسي التوليف فيما بينها وانتقاء ما هو مفيد في تنفيذ استراتيجياتهم .

وبوصف الشرق الاوسط في الفكر السياسي الامريكي منطقة تتضارب فيها توجهات الادارات الامريكية المتعاقبة فانها غالباً ماتتسع او تتقلص ولسببين اساسيين.

الاول انها تتسع لتشمل المغرب العربي غرباً ودول اواسط اسيا شرقاً بحكم كونها مصدرا للتهديد وفقا لتصور تيار صدام الحضارات .

او انها تضيق و تتجزأ تبعا لطبيعة المصالح الحيوية التي ينبغي تحقيقها وفقا لتصور التيار الواقعي.

فهي تارةً وحدة جيو سياسية متشابهة على الرغم من الاختلافات البينية في ثقافات شعوبها ومشاكلها الخاصة، وتارةً اخرى وحدات سياسية منفصلة .

الاعتبار الوحدوي يطبعه الاسلام كديانه وثقافة شرق اوسطية غالبة و(كمهدد) حضاري من وجهة نظر تيار صدام الحضارات، فالخطاب الامريكي في متبنيات التهديد يتعامل مع المنطقة على حد سواء .لكنه في متبنيات المصالح لايخاطب منطقة الخليج الغنية مثلما يخاطب بعض دول اواسط اسيا او انه لا يخاطب ايران كما يخاطب بعض دول المغرب العربي .

.لذلك فان نطاق البحث لايمكنه ان يتسع لمناقشة المنطلقات الاستراتيجية للادارة الجديدة ازاء كل

وحدة من الوحدات السياسية التي يتشكل بموجبها الشرق الاوسط ولا ان يضيق لدراسة بعض الوحدات السياسية لان لاي من هذه الوحدات مشاكلها الخاصة سواء مع الولايات المتحدة ذاتها او مع محيطها الاقليمي وانما سيحاول التركيز على المشكلات التي تشترك فيها دول المنطقة في علاقاتها بالولايات المتحدة، وهي في مجملها تركز على قضايا اساسية ثلاث اهمها اولاً – المواجهة الامريكية مع دول العالم الاسلامي ومن ضمنها دول الشرق الاوسط على قاعدة صراع الحضارات– وثانياً امكانية التحول من المواجهة الى المواءمة وعلى قاعدة المصالح المشتركة الامريكية الاسلامية– وثالثاً– التحول عن اسلوب الربط الجدلي بين الاسلام والارهاب في ادارة الشؤون الامريكية الاسلامية والتخلي عن (مبدأ الحرب الاستباقية)، كل هذه المفردات فضلاً عن المرتكزات الاساسية للاستراتيجية الامريكية التي بموجبها تُصاغ مبررات التدخل الامريكي في الشؤون الدولية سيتم تناولها على وفق المنهج النظمي التحليلي الذي نراه اقرب المناهج العلمية لمثل هكذا دراسة ومن خلال المحاور الآتية:

الفصل الاول–المرتكزات الاساسية للاستراتيجية الامريكية الشرق اوسطية.

ما من شك في ان الولايات المتحدة تصوغ استراتيجتها في مناطق العالم المختلفة ومنها منطقة الشرق الاوسط على هدي مرتكزات اساسية تحاول من خلالها تمرير سياساتها الخارجية بغية تحقيق الاهداف النهائية لمصالحها القومية ،ولان منطقة الشرق الاوسط من بين تلك المناطق المفصلية في تحقيق تلك الاهداف فقد خصها الخطاب الامريكي بنوع من الاستثنائية لا سيما بعد التحول الحاصل في النظام الدولي منذ انتهاء الحرب الباردة، ذلك التحول الذي تلازم مع شيوع النظام الرأسمالي وانهيار التوازنات التقليدية لحساب الهيمنة الامريكية، والى ظهور قواعد وسياسات جديدة ليس بين الامم والكيانات السياسية بل بين المجتمعات داخل الدول نفسها . أذ لم يعد الحديث عن سيادة الدول مقبولاً في ظل حقائق التدخل في الشؤون الداخلية وعودة الاحتلال العسكري المباشر (افغانستان والعراق)،مثلما لم تعد الدول قادرة على البقاء متماسكة في وجه نتائج العولمة[1]. لذلك لابد للمرتكزات التي كانت سائدة في مرحلة ما ان تشهد تحولاً او تكيفا مع معطيات المرحلة الراهنة ، تساوقاً مع ما هو حاصل في البيئة الدولية ، خاصةً وان منطقة الشرق الاوسط قد شهدت متغيرات متعددة افضت الى تحولات خطيرة على المستويين الوظيفي والبنيوي[2] ومن اهم تلك المتغيرات :– اولاً:– دخول بعض دوله في حروب غير متكافئة مع الولايات المتحدة . ثانياً:– انه شرق اوسط شهد ويشهد حرباً باردة دولية فيما بات يعرف بصراع المحاور (الشر والخير) ،واخرى اقليمية بين الكثير من مكوناته فيما يعرف بصراع الاعتدال والتطرف، ثالثاً: انه شرق اوسط يتراجع في بعض اجزائه دور الدولة لصالح التنظيمات والقوى المسلحة مما سمح بظهور نماذج من الدول الفاشلة. **رابعاً**:– التحول في طبيعة التحالفات والصراعات وهو تطور خطير وغير مسبوق اذ أن صعود ما يسمى (الخطر) الإيراني في

[1] سميرامين وآخرون – العولمة والنظام الدولي الجديد –مركز دراسات الوحدة العربية سلسلة كتب المستقبل العربي ط١ بيروت– لبنان ٢٠٠٤ ص٧

[2] خليل العناني– اوباما والشرق الاوسط –نوايا جيدة– تفتقد الرؤية –مجلة شؤون عربية العدد ١٣٧ – ربيع ٢٠٠٩ ص١–٢

المنطقة كمصدر للتهديد أدى الى تقارب غير مسبوق ايضا في علاقات بعض الدول العربية مع "إسرائيل"، أي أن تغير علاقات عدد من تلك الدول مع إيران نحو منحى صراعي أدى بتلك الدول الى التقارب مع "إسرائيل" على قاعدة الخطر المشترك خامساً:- حصول تحول في طبيعة التهديد من الاطار الدولي الى المحلي وهي تحولات تجسد عملياً انحسار اطروحة الامن الوطني لحساب "الترتيبات الدولية الامنية" وازاء كل ذلك لا بد للمرتكزات الاساسية للاستراتيجية الامريكية ان تاخذ دوراً في توجهات الادارة الجديدة من خلال المرتكزات الآتية:-

المبحث الاول – المرتكز الايديولوجي:-

اضحت المكانة الفريدة للولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب الباردة تحظى باعتراف عالمي واسع النطاق [٣]. وطبقاً لتلك المكانة المتميزة اصبحت هي من تقرر شؤون الكثير من القضايا الدولية والاقليمية والى اجل تقرره عوامل البيئة الدولية القادمة، ولان الشرق الاوسط يحتل مع امتداداته في اتجاه القفقاس واسيا الوسطى موقعاً بالغ الاهمية في جيوسياسة الولايات المتحدة ومشروعها الخاص بالهيمنة على العالم فانها تمسك بشؤونه التي تدين بها لعوامل ثلاثة، موقعه الجغرافي في قلب العالم القديم وثروته النفطية وكونه بات يشكل البطن الرخو في النظام العالمي [٤] فضلاً عن تحول بعض دوله كمصدر للارهاب على الاقل من وجهة النظر الامريكية ، وتبعاً لذلك لا بد وان تتوافر مسوغات ذاتية وموضوعية لتمرير السياسات المطلوبة والضرورية لتلبية المصالح الامريكية في تلك المنطقة ومن اهم تلك المبررات :-

المطلب الاول –المسوغات الدينية :-ترتبط المسالة الايديولوجية في الفكر الديني الاصولي المعاصر بنصوص التشريع الالهي والتأويل البشري الذي يستتبع تلك النصوص.

والعقل البشري المستخدم لمصلحة هوية دينية معينة هو بالضرورة عقل منحاز ومن ثم عقل انتقائي محكوم بمواقف الدفاع والهجوم التي تقفها الجماعة الايديولوجية التي تستخدمه فالعملية مطلوبة له ضمن هذا الاطار من الانحياز والانتقائية والدفاع والهجوم [٥]. والظاهرة الدينية كاي ظاهرة كونية لا يمكن عزلها عن نطاقها التاريخي اذ لا وجود لأي ظاهرة مهما كان شكلها او مضمونها حين يراد لها ان تقع خارج السياقات التاريخية التقليدية [٦].

وضمن هذه الطروحات الفكرية يصبح من الطبيعي ان يتلازم الخطاب الديني في بعديه الفلسفي والوظيفي مع التوجهات الاستراتيجية العامة للدولة حتى لتلك الدول التي نادت بفصل الدين عن الدولة لكنها فيما بعد وظفت الخطاب الديني في اتجاهات متلازمة مع شؤون الدولة، لا سيما اذا كان هذا التلازم يخدم

---

[٣] زبيغنيو بريجنسكي –الاختيار السيطرة على العالم ام قيادة العالم –دار الكتاب العربي –بيروت لبنان – ٢٠٠٤ص١٢

[٤] سمير امين وآخرون العولمة والنظام الدولي الجديد – مصدر سبق ذكره ص٢٤

[٥] ناصيف نصار – الايدولوجيا على المحك –فصول جديدة في تحليل الايديولوجياونقدها – بيروت – دار الطليعة ١٩٩٤ص٤٩

[٦] د –حسين سعد – الاصولية الاسلاميةالعربية المعاصرة بين النص الثابت والواقع المتغير – مركز دراسات الوحدة العربية سلسلة اطروحات الدكتوراه (٥٢)ط٢ –٢٠٠٦ ص٣٨٤

المصالح العليا ولا يتقاطع معها ،من هنا يعكس اعتقاد الطهوريون البروتستانت وهم المهاجرون الاوائل الذين استوطنو الولايات المتحدة ومن ثم الكنائس الانجيليكانية مدى التلازم مع الخطاب السياسي الرسمي وحتى هذه اللحظة من التاريخ السياسي الامريكي، اذ انهم يركزون افكارهم على ثلاثة مبادئ اساسية تنتهي بواجبات امريكية حصرية، من هذه المبادئ:- اولاً – ان امريكا كانت موجودة في عقل الله لأهداف محددة منذ بداية الخلق ،وان ثمة خطة شاملة للكون وهي من تدبير الارادة الالهية، هذه الخطة يلعب فيها الطهوريون بهجرتهم الى العالم الجديد دوراً مهماً لانهم شعب الله المختار ،اختارتهم العناية الالهية للخلاص والهروب من فساد العالم وآثامه لأنشاء مملكة الله على الارض[٧]. هذه الشراكة التعاهيدية مع الخالق تشمل مهمة خطيرة وعاجلة وهي تنوير بقية امم العالم وهدايتها وانقاذها من الجهالة والظلام ،ومن هذه الفكرة بالتحديد استمدت معظم اطروحات فوكوياما كمرجعية فكرية للخطاب السياسي الامريكي.

وبسبب هذه الشراكة اصبح الشعب الامريكي الطهوري مجتمعاً دينياً[(*)]. ومن ثم فأفراد هذا الشعب هم مواطنو مملكة الله المرتقبة[٨].

ثانياً– ان الدين هو الضامن الوحيد للفضائل القومية التي تسمح بالنجاح الدنيوي .وان الحياة الاخروية هي امتداد للحاضر وما يجنيه الانسان فيها هو نتاج عمله الدنيوي بمعنى ان الايمان هو الذي ينقذ الانسان دائماً وهو الذي يقوده الى الخلاص من كل خطيئة ومن يصيبهم الخلاص هم ليسوا كل الناس انما فقط اولئك الذين يتميزون بأيمانهم بالله .فالايمان بالله هو طريق الخلاص ولخلق عالم بلا خطيئة يكون الايمان بمثابة المعيار المميز بين الخير والشر بين الانسان الصالح والانسان السيئ مثلما هو كذلك بين الدول[٩].

ويترتب على هذه النتيجة ضرورة محاربة الشر وجعل الخير ينتصر عليه.....الخير الذي لا بد ان يسود وينتصر ليتطهر كامل المجتمع من كل شر كامن فيه.

ولاجل ان تكتمل هذه العملية لا بد ان تتسع لتأخذ بعدها الشمولي العالمي بمعنى لا بد ان يكون الاطهار هم جنود المسيح المسؤولون عن نقل كلام الله وتمدين الاخرين من المجتمعات الاخرى، وان

---

[٧] د–عبد القادر محمد فهمي– الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الامريكية –دراسة في الافكار والعقائد ووسائل البناء الامبراطوري – عمان –دار الشروق للنشر والتوزيع –٢٠٠٩ –ص٣٨.

[(*)] تشير بعض التقديرات الى ان ٩٠% من الاميركيين يقولون انهم مؤمنون بالله و ٤٠% منهم يمارسون الطقوس الدينية(*) .وتقوم المراجع الدينية بأضفاء الطابع السياسي على خطابهم وخاصة لدى الجمهوريين .فكان ريغان يحب الحديث عن الولايات المتحدة كانها "مدينة مشعةفوق الهضبة "مشيراً الى القديس ماثيو .كما اكد بوش الاب ان الولايات المتحدة ريحت الحرب الباردة "بفضل الله" كما يستعمل بوش الابن مراجع مسيحية لتبرير "صليبيتهضد الارهاب ويصوغ "وطنية ذات حق الهي" .لوفافبر ص٩٨–٩٩ (*)تشير تقديرات اخرى الى انه من بين كل ٥ اشخاص هناك ٤منهم يعتقدون بالحياة الاخرة وان نسبة الامريكيين المتدينين سجلت ٨٢%مقابل ٥٥% في بريطانيا و ٥٤%في المانياو٤٨% في فرنسا كما يمارس ٤٤% من الامريكيين الطقوس الدينية .انظر رضا هلال الدين –السياسة في امريكا علمانية ام متدينة –في الامبراطورية الامريكية –الجزء الاول– القاهرة –مكتبة الشروق –طبعة اولى– ٢٠٠١ ص٢٥٠–٢٥١.

[٨] د–عبد القادر محمد فهمي– مصدر سبق ذكره –ص٣٨.

[٩] المصدر نفسه، ص٣٤–٣٥.

الامريكيين هم جنود الديمقراطية والمسؤولين عن نشرها في العالم وقد استمد الرئيس الامريكي السابق فكرته عن دول محور الشر من هذا التقسيم اللاهوتي [١٠].

وعلى وفق هذه الرؤية تكتسب الفوقية الامريكية بعداً ومسوغاً دينياً ومن ثم فان المجتمع الامريكي ومن خلال فلسفته الدينية ،على الرغم مما يدعو اليه من حرية العقيدة وفصل الدين عن الدولة يظل الاكثر تحيزاً وتطرفاً لمذهبه الديني ليس بوصفه متميزاً عن سواه من الاديان بل حتى عن المذاهب المسيحية الاخرى ، هذه الافكار هي التي ساهمت في صياغة العقل الامريكي ومنهج التفكير السياسي الرسمي في السياسة الخارجية والعلاقات الدولية .

صحيح ان العلمانية لازمت الدولة الامريكية منذ نشاتها الدستورية عام ١٧٨٩ لكن الفصل بين الكنيسة والدولة في التجربة الامريكية لم يتحول يوما الى فصل بين الدين والمجتمع كما هو حال التجارب الاوربية ولا حتى الى الغاء الدين وابعاده عن المجتمع مثلما فعلت التجربة السوفيتية، بل ان استمرار الكنيسة بواجباتها الدينية على كافة مستويات المجتمع الاهلي الامريكي قد اوصل الامر في نهاية القرن العشرين الى ما يمكن تسميته مسيحانية اجتماعية فاعلة ومسيطرة في بعض الجوانب من المجتمع الامريكي [١١].

،، ان نزع الطابع العلماني عن العالم هو من الحقائق الاجتماعية الميهمنة في الحياة في آخر القرن العشرين"

ثالثاً – لعل اكثر المبررات الدينية اهمية وخطورة من القيم الاخلاقية المبنية على الايمان والفضيلة والعمل الصالح ،هي الوظيفة الرسالية –التبشيرية ذات الطابع التوسعي، بمعنى ان الدين لا يقوم بعملية التوحيد الاجتماعي داخل المجتمع الامريكي فحسب ،بل ان امريكا وبفضل قيمها الدينية التي ترتقي بها الى مكانة لاتضاهيها امم وشعوب اخرى ،مكلفة بأنجاز وظيفة رسالية لنشر هذه القيم خارج حدودها الاقليمية . ومثل هذه الوظيفة هي موضع الارادة الالهية التي لادخل للأرادة الانسانية فيها سوى الانصياع لها والالتزام بمشيئتها، فالقول ان الله قد بارك القانون والنظام والحضارة والعلم الامريكي كي يكونوا وكلاء له [١٢]. وان امريكا امة مختارة وتحيا بروح الكنيسة [١٣] تعني انها ذات طابع استثنائي علوي وخصوصية تاريخية تميزها عن سائر الشعوب وهذه الخصوصية رعتها العناية الالهية، ومن هذا الاصل الديني نفسه تم انتاج معنى زعامة امريكا للعالم فهي زعامة يحتاجها العالم ولا تملك امريكا الا توليها [١٤].

---

[١٠] د –عبد القادر فهمي –مصدر سبق ذكره ص٣٤.

[١١] د – محمد مراد السياسة الامريكية تجاه الوطن العربي بين الثابت الاستراتيجي والمتغير الظرفي دار المنهل اللبناني ط١ ٢٠٠٩ ص٤٢.

[١٢] اندرو باسيفيتش – الامبراطورية الامريكية حقائق وعواقب الدبلوماسية الاميركية –الدار العربية للعلوم –بيروت لبنان ط١ ٢٠٠٤ ص٣٧.

[١٣] منار الشويرجي الثابت والمتغير في سياسة الولايات المتحدة الخارجية –السياسة الدولية –المجلد٤٠ –العدد١٦١ –تموز يوليو ٢٠٠٥ – ص٢١٣.

[١٤] د – محمد مراد المصدر السابق نفسه، ص٤٦ –٤٧.

لذلك فان الكثير من القادة في الولايات المتحدة يفسرون قرارات السياسة الخارجية الاحادية (في الغالب) التي تتخذها باللجوء عادة الى الحقوق الطبيعية والفضيلة الاميركية والعناية الالهية [١٥].

ولعل عبارة "ليبارك الله اميركا" التي ينهي بها كل رئيس اميركي خطبه السياسية، ولا سيما تلك التي تتعلق بالحرب اوالسلم تعمل عمل الدعاء والالتماس الديني .وربما تكون العبارات الآتية خير دليل .

(ايها الاميركيون،ان الولايات المتحدة تعمل باسم الرب ولتكن تلك مشيئتك يارب) و(الولايات المتحدة على غرار جد البروتستناتية العظيم مارتن لوثر تعلن ان ما من شيء يقيدها سوى ضميرها "اننا نقف هنا ولن نحيد عن ذلك) [١٦]. وعلى هذا الاساس فان من الخطا القول ان التبريرية الدينية كخلفية ايديولوجية في السياسات الامريكية المستندة الى الافكار والمعتقدات الدينية التي جاء بها الآباء المؤسسون والتي لعبت دوراً كبيراً في ارساء الاسس اللازمة لبناء نظام سياسي–اجتماعي–ديني يتوافق مع عقيدتهم الدينية المنحدرة من الديانة البروتستانتية التي اوجدت منذ البداية جواً دينياً لايزال قائماً حتى يومنا هذا [١٧]، مرشحة للزوال سواء بانتهاء عهدً من العهود الجمهورية او احلال عهد ديمقراطي جديد ، وانما هي باقية بفعل تراكمات ثقافية دينية استمرت لعقود كثيرة وكانت كافية لتكوين بنية مؤسسية فكرية واجتماعية وسياسية والا ما الذي يجعل مفكرا عبقرياً (أيمانويل كانت) يعتقد بان الحرب تخدم اهداف العناية الالهية او القديس توما الاكويني الذي يقول ان المستبدين كانوا يخدمون غايات العناية الالهية [١٨].

نستخلص من كل ما تقدم ان المبررات الدينية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمضامين السياسية والاقتصادية والامنية للاستراتيجية الامريكية وانها نهضت على تمركز لاهوتي قائم على ميتافيزيقيا يمتزج فيها فعل الانسان بفعل الله الى حد اصبح فيه الله انساناً منذ اللحظة التي حل فيها الله في جسد يسوع المسيح وعد غيابه الحلم الآلهي للذات المفكرة والرسالة الالهية النابعة من روح الحقيقة وقد حمل هذا التمركز البذور الاولى للتقوقع على الذات مثلما يرى الاستاذ عمر كوش [١٩].

المطلب الثاني– المسوغات الفلسفية .

يرى ديوي وهو من مؤسسي الفلسفة الامريكية ومن المنظرين لها انه (اذا كان لكل امة فلسفتها فان على الفلسفة الامريكية ايضاً ان تعي الحاجات الخاصة لامريكا .....).الحاجات الخاصة التي جسدها ارتباط الفلسفة الامريكية ب(الذرائعية) التي لاقت رواجاً لدى مفكرين كُثر امثال تشارلز بيرس وليام جيمس

---

[١٥] بنجامين –ر – باربر –امبراطورية الخوف –الحرب والارهاب والديموقراطية دار الكتاب العربيب بيروت لبنان – ٢٠٠٥ –ص٦٣.

[١٦] المصدر نفسه، ص٦٤.

[١٧] د – عبد القادر فهمي –مصدر سبق ذكره ص٤٣.

[١٨] د –محمد مراد – مصدر سبق ذكره ص٤٣ –٤٤

[١٩] عمر كوش –ميتافيزيقيا التمركز على الذات مجلة الاداب السورية العدد ٣/٤اذار نيسان ٢٠٠ص٢٣

نقلاً عنالاستاذ الدكتور ناظم الجاسور –المرجعية الفكرية للخطاب السياسي الاستراتيجي الامر يكي ما بعد الحادي عشر من ايلول ٢٠٠١ –دار النهضة العربية بيروت لبنان ٢٠٠٦ ص٢٢

وجوزيا رويس وجورج ميد التي بدات منذ العام ١٨٥٩ [٢٠]. واستمرالتأكيد على الطابع الذرائعي فيها حتى بعد انتهاء الحرب الباردة وتفكك دول المنظومة الشيوعية، حيث عدت الاطروحات الايديولوجية مقياساً او حداً فاصلاً لبيان الحالة الانتقالية التي عكستها المتبنيات الفلسفية ، فالمجتمعات التي تبنت الديمقراطية الليبرالية انتقلت الى ما يسميه فوكوياما مجتمعات نهاية التاريخ، اما تلك التي بقيت اسيرة الايديولوجيات الشمولية كالماركسية او الفاشية وحتى الدينية، فانها لا تزال ضمن المرحلة التاريخية ،هذا الطرح في الحقيقة يختلف كلياً عن المنطلقات الفلسفية الاخرى في نظرتها الى حركة التاريخ الانساني المرتبطة بتحول المجتمعات ، وهي متاثرة بدرجة واضحة بطروحات الفيلسوف الالماني هيغل والذي كان يعتقد ان نهاية التاريخ لا تعني توقف الحركة الزمانية وانما تعني نهاية التطور التناحري ،فالمجتمع الانساني الذي بلغ نهاية التاريخ قد وصل الى المرحلة النهائية للتطور التاريخي .هذا التطور هو الذي يلغي جوهر الصراع في متبنيات الفلسفات الاخرى مما يجعل الساحة السياسية للدول التي بلغت نهاية التاريخ خالية من التناحر ، اذ تتحول المنافسة فيها الى منافسة سلمية خالية من اي وجه من اوجه الصراع .ويوضح فوكوياما وعلى غرار الحتمية التاريخية ان الدول التي تتبنى الديمقراطية الليبرالية ستنتقل حتما الى مرحلة نهاية التاريخ وان عددها في تزايد، اذ لم تكن تزيد في بداية القرن الماضي عن ١٣ دولة معظمها يقع في الجزء الغربي من القارة الاوربية ولكنها اصبحت في العقد الاخير من القرن العشرين ٦١ دولة موزعة على معظم القارات [٢١]. ومما يشجع على هذا التزايد هو ان نقائض النظم الديمقراطية آخذةً في الزوال بدءً بانتهاء اطروحة الدول الفاشية وانتهاءً بتحول الدول عن الشيوعية . وعلى عكس صموئيل هنتنغون يعتقد فوكوياما ان المجتمع الانساني ينحو الى التجانس منه الى الصراع وان عملية انتقال المجتمعات ستظل مفتوحة ولكن بشرطين اساسيين. الاول توافر الوعي الليبرالي والثاني درجة معينة من التطور الاقتصادي لكنه في الوقت نفسه يربط هذا التطور بالمذهب البروتستانتي دون سواه من المذاهب والديانات الاخرى وهنا يقع في خطأ التخصيص الضيق اذ انه يرى ان العلاقة بين المذهب البروتستانتي والتقدم الاقتصادي ما زالت واضحة حتى اليوم في امريكا اللاتينية حيث تبع حركة اعتناق البروتستانتية تزايد في الدخل الفردي ونقص في السلوك الاجرامي ... الخ.ويستند فوكوياما في نظرته تلك الى الدراسة المعروفة التي قدمها الاقتصادي الشهير ماكس فيبر المعنونة (الاخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية) التي يشير فيها الى الترابط الوثيق بين الديانة المسيحية بشقيها النصراني (Calvinist)، والبيوريتاني (puritan)والنمو الاقتصادي [٢٢].

رغم ان التبريرات الفلسفية التي طرحها فوكوياما قد توقفت عند حدود التقسيم المفاهيمي الذي اريد منه تكريس الفصل النهائي بين انسانيتين، فصل يتضمن بُوساً لمعظم الانسانية التي خسرت نهاية التاريخ

---

[٢٠] جيرار ديلودال – الفلسفة الامريكية ترجمة .د. كتوره ود. الهام الشعراني – المنظمة العربية للترجمة –بيروت لبنان ط١ ٢٠٠٩ ص١٢ –٢٢).

[٢١] فرانسيس فوكوياما – نهاية التاريخ –ترجمة وتعليق –الدكتور حسين الشيخ –دار العلوم العربية –بيروت لبنان (د.ت) – ص٢٥٦ .

[٢٢] المصدر السابق ص٢٥٦ .

ويتضمن بالمقابل عزل النخبوية في عرش خارج العالم،لكنه ابقى العلاقة الوحيدة القائمة بينهما هي مبدا الاخضاع بالقوة[٢٣].

الاخضاع القائم على فرضية فوكوياما ان ما عدا العالم الاسلامي يبدو ان هناك اتفاقاً عاماً على قبول الديمقراطية الحرة كأكثر اشكال الحكم عقلانية وهو يفترض كذلك اذا كان ذلك حقيقة فلم لم تصبح الدول خارج العالم الاسلامي دولاً ديمقراطية؟[٢٤].

يجيب عن هذه التساؤلات المستشار الاسبق للامن القومي الامريكي زبيغنو بريجنسكي بالقول ان الاسقاط الخارجي للديمقراطية الامريكية ينسجم مع المسؤولية شبه الامبريالية ويمكن للقوة المهيمنة الدفاع عن الديمقراطية بل تعزيزها لكن يمكن ايضاً تهديد الديمقراطية، في المحور الاول اذا طبقت في الخارج بطريقة تراعي طموحات الاخرين وحقوقهم لكن في المحور الثاني اذا اعتمدت الشعارات النفاقية في للديمقراطية[٢٥]. ونحن نعتقد ان اسقاط النماذج الديمقراطية في الشرق الاوسط بطريقة نفاقية يمثل تهديداً لكل النماذج الديمقراطية التي لا تتوافق مع الرؤية الامريكية وربما مثل عدم التعاطي الايجابي الامريكي مع فوز حماس في انتخابات ٢٠٠٦م الدليل القاطع عن ذلك ،من كل ما تقدم يمكن القول ان مستقبل العالم لن يرتكز الى المبادئ الجيوسياسية التي كانت معروفة بل سوف يتبع مصطلحاً جديداً هو الجيوفلسفي الذي سيساهم في اخفاء وجه القانون الجيوسياسي التقليدي وتقديم قانون يقسم الامم الى قسمين الاول الدول الحضارية التي استحقت الفوز بكمال التاريخ والوصول الى نهايته والثانية الامم العاجزة عن الوصول الى كمال التاريخ،وتقع شعوب الشرق الاوسط ضمن الامم العاجزة، ومن هنا تنطلق رسالة الرجل الابيض الاستعمارية مجدداً في الاخذ بيد المتخلفين بغية ايصالهم الى ما يسميه فوكوياما الجنة الموعودة ولكن هذه المرة ليس على قاعدة التحرير بل على قاعدة الاخضاع بالقوة. والحقيقة التي لا جدال فيها هي ان انقضاء اكثر من عقدين على تحول الولايات المتحدة الى القوة المهيمنة الاولى في العالم ولطالما كان الساسة وصناع الاستراتيجيات الكبرى يسعون وفي اطار قرن امريكي حقيقي يحتضن العالم كله مؤمنين بان مثل هذه الامركة الكريمة للعالم سوف تجلب السلام والوفرة لكن السلام ظل بعيداً كما الاطمئنان الى قدوم الجنة الموعودة[٢٦] مثلهم في ذلك كما قال الله عز في فرعون قوله: «قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى و ما أهديكم إلا سبيل الرشاد:»[٢٧] فكذبه الله تعالى بقوله: «و ما أمر فرعون برشيد»[٢٨].

المبحث الثاني – المرتكزات الجيوستراتيجية

---

[٢٣] فرانسيس فوكوياما –نهاية التاريخ والانسان الاخير –المصدر السابق ص١٩.

[٢٤] فرانسيس فوكوياما –نهاية التاريخ المصدر نفسه ص٢٣٩.

[٢٥] زبيغنو بريجنسكي –الاختيار – السيطرة على العالم ام قيادة العالم –المصدر السابق ذكره

[٢٦] اندرو باسفيتش –المصدر السابق ذكره ص٤١ –٤٦

[٢٧] سورة هود، الاية ٩٧.

[٢٨] القرآن الكريم – سورة المؤمن الاية ٢٩

اذا كانت الجيو ستراتيجية تُعنى بالبحث في المركز الإستراتيجي للدولة أو الوحدة السياسية، سواء في الحرب أو السلم، فتتناوله بالتحليل استناداً إلى عناصره أو عوامله، بمعنى انها تهتم بدراسة الموقع الإستراتيجي للدولة أو المنطقة الإقليمية، ومدى تأثير هذا الموقع وتلك المنطقة في العلاقات السلمية والحربية[٢٩]. فان الدلالة الامريكية المبكرة على حيوية الموقع الجيوستراتيجي للشرق الاوسط قد ظهرت في تصريح ادلى به الفريد ماهان القيادي في البحرية الامريكية والذي ترجع اليه التوصيفات الاولى لمنطقة الشرق الاوسط والذي جاء فيه ، ان الشرق الاوسط سواء كمفهوم استراتيجي ام كموقع على الحدود الجنوبية للبحر المتوسط واسيا هو مسرح مواجهة استراتيجية بين القوى المتصارعة[٣٠]، واذا كانت الدلالة كذلك فما المقصود بالشرق الاوسط في الاصطلاح الجغرافي–السياسي الامريكي ؟.انه كامل المنطقة الممتدة لمساحة جغرافية تقدر بحوالي ١٧،٧٧٨ مليون كم٢ موزعة على الشكل الآتي[٣١]:–الوطن العربي ١٣،٩٢٣ مليون كم٢ اي المساحة الاجمالية لأقطار الجامعة العربية وعددها ٢٢ دولة – الدول الاسيوية التالية:باكستان ٧٩٦١٠٠ كم٢ افغانستان ٦٥٢٠٩٠ كم٢ ايران ١٦٣٣١٩٠ كم٢ تركيا٧٧٥٠٠٠كم٢ بالاضافة الى قبرص ٩٢٥١كم٢.اما الكتلة السكانية الشرق اوسطية فهي حسب احصاءات تعود لعامي ٢٠٠١و٢٠٠٦ وكالآتي:

جدول الكتلة السكانية الشرق اوسطية(*) احصاءات العام ٢٠٠٦ احصاءات العام ٢٠٠١

المنطقة	السكان (مليون نسمة)	% الى الاجمالي
الوطن العربي *	٣١٩،١٦	%٥٠،٨
باكستان*	١٥٠	%٢٤
افغانستان**	٢٥،٨	%٤
ايران**	٦٧	%١٠،٦
تركيا**	٦٦	%١٠،٥
قبرص**	٠،٧٥	%٠،١
المجموع	٦٢٨،٧	١٠٠

تشكل مساحة الشرق الاوسط حوالي ١٢،٥% من اجمالي مساحة العالم في حين تمثل كتلته السكانية قرابة ١٠% منه. اما الجغرافيا السياسية للشرق الاوسط فقد تناولتها بالتوصيف دراسات كثيرة آخذة بعين الاعتبار تدرج القوة والتماسك بدءاً من المركز وصولاً الى الاطراف فالشرق الاوسط هو عبارة عن ثلاث دوائر متداخلة الدائرة الاولى تمثل قلب الشرق الاوسط او المجال الحيوي وتضم العراق، سوريا ،لبنان، الاردن، فلسطين ومصر اما الدائرة الثانية فتضم السعودية والسودان وليبيا وايران وتركيا وتمثل النطاق الاول اما الدائرة الثالثة التي تمثل النطاق او الغلاف الثاني فيضم بلاد المغرب العربي: تونس، الجزائر، المغرب

[٢٩] لمزيد من التفاصيل انظر د – سعود العابد الفرق بين الاستراتيجية والجيوستراتيجية الدراسة المنشورة على الرابط http://www.alriyadh.com/2010/03/25/article509799.html

[٣٠] مروان بحيري السياسة الامريكية والشرق الاوسط من ترومان الى كيسنجر في – السياسة الامريكية والعرب –مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ط٣–١٩٩١ص ٤٩.

[٣١] د – محمد مراد – مصدر سبق ذكره ص٣٤٥.

(*)الجدول ماخوذ عن من د – محمد مراد –سبق ذكره، ص٣٤٦.

وموريتانيا. وهناك امتدادان ايضاً آسيوياً يضم باقي دول شبه الجزيرة العربية وتشمل: اليمن، الكويت، قطر، البحرين،الامارات وسلطنة عمان.

والثاني يمثل دولتين افريقيتين الصومال واثيوبيا. هناك ايضاً امتدادً اوربيً –شرق اوسطيً :قبرص –اليونان. وامتدادً آسيويً شرقاً ويشمل: باكستان، افغانستان والجمهوريات الاسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز التي استقلت بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وهي :كازخستان، اوزبكستان، تركمانستان، قيرغيزستان، طاجكستان واذربيجان [٣٢]. لذلك فان تباين التوصيفات في كتابات الكثير من المفكرين ومختلف مراكز الدراسات الاستراتيجية ومنذ ذلك الحين يكون امراً طبيعياً بسبب تباين الكثير من العناصر الجيوستراتيجية في الكثير من وحداته السياسية، وخاصةً في العناصر او المفردات المكونة للجيوستراتيجية ذاتها وهي الجيوسياسية والجيو اقتصادية والجيو عسكرية والجيو معلوماتية [٣٣] وعليه فان دراسة المرتكزات الجيوستراتيجية للولايات المتحدة ازاء منطقة الشرق الاوسط تقودنا الى ما تسمح به هذه الدراسة لتسليط الضوء على بعض المفردات وبيان اهميتها وتاثيرها في صناع القرار كمحددات او دوافع تتحكم في صياغة السلوك الامريكي ازاء المنطقة.

المطلب الاول –المسوغ الجيوسياسي :

الجيو – سياسي تعبير اوروبي يعود الى بداية القرن العشرين، ويستهدف تحليل العلاقة بين السياسة والموقع الجغرافي، وكان السويدي رودوف كجلين قد ابتكر هذه الكلمة، كما كان الالمانيان فريدريك راتزل وكارل هاوسهوفر قد شددا على اهمية الجغرافيا بالنسبة لقوة اي دولة [٣٤]. ولان الشرق الاوسط كأقليم جغرافي يتوسط دائرة تضم القارات الثلاثة "آسيا وافريقيا واوربا التي يعيش عليها اكثر من ثلاثة ارباع سكان الكرة الارضية، وفيه تتضارب المصالح السياسية والاقتصادية والاجتماعية المحلية والعالمية ومايتفرع عنها من تناقضات على مختلف الصعد، لذلك فانه يمثل نقطة تماس استراتيجي وساحة تنافس دولي خطير.

وحتى بعد نهاية الحرب الباردة وتلاشي الاتحاد السوفياتي لايزال الشرق الاوسط يمثل البؤرة التي يتركز فيها تصادم الدول .

يشكل الشرق الاوسط بالنسبة الى الخطاب السياسي الرسمي للولايات المتحدة وحدة جيوسياسية واضحة وان تضمنت اكثر من منطقتين متميزتين هما جوار اسرائيل والخليج النفطي وتختلف كل واحدة منهما من حيث وظيفتها الجيو سياسية والجيوعسكرية [٣٥] اذ تتنازع هذه المنطقة عوامل عدة اكثرها بروزاًعاملان احداهما جغرافي والاخر بنيوي اقتصادي سياسي وامني واي من هذه العناصر يشكل اهمية خاصة للولايات

[٣٢] المصدر نفس، ص٣٤٦ –٣٤٧

[٣٣] د – سعود العابد مصدر سبق ذكره

[٣٤] مكسيم لوفابفر –السياسة الخارجية الامريكية –مصدر سبق ذكره ص١٤٦

[٣٥] سمير امين – مصدر سبق ذكره ص١٥ –١٦

المتحدة[٣٦]. هذه العوامل لا يلغي احدها الآخر بل يمكن ان يكون معززاً له.فالبترول وحده لم يكن هو الذي شكل مصير الشرق الاوسط ، لان الشرق الاوسط في التاريخ السحيق للحضارات وقبل اكتشاف البترول بزمن طويل كان بمثابة ملتقى استراتيجي للطرق بين افريقيا واوراسيا كما هو الحال اليوم ولكن بعد التغير الوظيفي للمنطقة وبالنفط او بدونه ستظل الاهمية الاستراتيجية وخاصة الجيوعسكرية قائمة[٣٧]. تنشط الولايات المتحدة في سعيها لاحكام السيطرة على الشرق الاوسط بتعاون وثيق مع ركائز اقليمية كانت تمثلها ايران الشاه والمملكة العربية السعودية في ما كان يسمى بـ(الدعامتين) فضلاً عن حليفتيها تركيا واسرائيل وكانت تحاول ضم العراق الى تلك الركائز من خلال حلف بغداد الذي نشأ في عام ١٩٥٥م واطيح به في عام ١٩٥٨م . وهي اليوم تزيد تلك الركائز لتضم دولاً شرق اوسطية اكثر مصر والاردن ، افغانستان والعراق مثلاً فضلاً عن دول الخليج الست ، وهي في هذا النشاط الذي ما فتئ يعبر عن نفسه في مطارح شتى تؤكد ان هذا الشرق هو الرئة التي تتزود منها ما يلزم من الطاقة لمواجهة عناء التنافس الدولي الذي ابقى اوربا على هامش المنطقة راضية بان تدافع الولايات المتحدة وحدها عن مصالحها الحيوية كما ابقى الكثير من الدول الطامعة بالعزوف عن المنافسة معها[٣٨]. ومنذ احتلال العراق في عام ٢٠٠٣ م ظهرت مرحلة جديدة كانت ملامحها الاساسية اختفاء المظاهر السيادية لبعض الدول الشرق اوسطية حتى تلك المتعاونة مع الولايات المتحدة وظهور نظام اقليمي جديد انطلق من رؤية جيوسياسية غير تقليدية ويتميز بالتواجد العسكري الامريكي المباشر ليس في العراق فحسب بل في دول عربية شتى وما يلحقه هذا التواجد من اختفاء مظاهر التوازن الاقليمي التقليدي الذي كان قائماً، وغياب ابسط قواعد السلوك القانوني الذي يحكم الدول .يهدف النظام الاقليمي الجديد الى اعادة تشكيل نظام الامن الدولي بما يخدم المصالح الامريكية ويحاول كذلك تحييد القوى المنافسة للولايات المتحدة في مناطق الصراع الدولي ، ومن ثم فان ما أُريد منه ليس سوى تجسيد نجاح التوجهات الاستراتيجية الامريكية التي تعود اصولها الى ما قبل انتهاء الحرب الباردة حين وضعت الولايات المتحدة خطوطاً حمراء على بعض مناطق التنافس الدولي بينها وبين الاتحاد السوفيتي مما يعني او يعكس تخطيطاً امريكياً جيوسياسياً عالمي الابعاد لم تراع فيه حقوق الدول الاساسية الرئيسة في النظام الدولي.

المطلب الثاني-المسوغ الجيو اقتصادي:-

لم يكن لمصطلح الشرق الاوسط اية دلالة تاريخية سابقة على القرن التاسع عشر فهو مصطلح حديث في الادبيات الغربية تزامن ظهوره مع مرحلة الصعود الرأسمالي الذي عرفته اوربا في اعقاب الثورة الصناعية والذي لم يلبث ان بلغ مستويات عالية من المراكمة الرأسمالية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ،وتحت ضغط الحاجة المتزايدة الى المراكمة راحت الرأسماليات الاوربية تفتش عن مناطق جديدة تستجيب لمتطلباتها على صعيدين اثنين :-الاول،الحصول على المواد الخام الضرورية لتوظيفاتها الصناعية

[٣٦] د- محمد مراد -مصدر سبق ذكره ص١٥.

[٣٧] لينون لاروش- الشرق الاوسط مفترق طرق استراتيجي- الدربيل ١٤-٧-٢٠٠٢.

[٣٨] سمير امين، المصدر سبق ذكره، ص١٥

من جهة .والثاني ،الاندفاع نحو الكتل السكانية من اجل التوسع في ايجاد الاسواق لتصريف فائضها السلعي من جهة اخرى .ومع تزايد الاختراق الرأسمالي للسلطنة العثمانية في مناطق نفوذها في شرق اوربا (البلقان) لا سيما في العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر ومن ثم الاختراق الاكبر الذي حصل بعد الحرب العالمية الاولى وانتقال ممتلكات الدولة العثمانية الى دول اوربا الغربية، تكونت مجموعة من الدول التي انتجها نظام راسمالية المركز (اوربا الغربية) لتلتحق به على قاعدة الاستتباع الاقتصادي والسياسي ، حينذاك ظهر مصطلح الشرق الادنى لتمييزه عن مصطلح الشرق الاوسط . وعلى عكس نظريات المجال الحيوي السابقة التي ركزت على اوراسيا على أساس ان السيطرة عليها يمكن ان تتيح لاية قوة السيطرة على العالم اهتمت النظريات الجديدة بمنطقة الشرق الاوسط كواحدة من اهم المناطق الجيواستراتيجية للسيطرة على العالم (ان من يسيطر على الشرق الاوسط يسيطر على النفط العالمي ومن يسيطر على النفط العالمي يسيطر على اقتصاد العالم على الاقل في مدى المستقبل المنظور [٣٩]. وخلال مرحلة الحرب العالمية الثانية وما تلاها تمت صياغة مفهوم السيطرة على منطقة الشرق الاوسط لاحلال القوة الامريكية بدلاً من القوى الاوربية لتحقيق مصالح الولايات المتحدة انطلاقاً من فرضيتين الاولى ان القوى الاوربية غير قادرة على تحقيق السيطرة الفعلية على تلك المنطقة بسبب خروجها منهكة من الحرب العالمية الثانية، وثانياً ان السيطرة على تلك المنطقة امر بالغ الاهمية للسيطرة على العالم اقتصادياً وعسكرياًوسياسياً لان هذه المنطقة تعذ خزاناً لمعظم احتياطي نفط العالم [٤٠] ولا تريد القوى الاوربية لغير الولايات المتحدة ان تمارس هذا الدور.

لقد ادركت رأسمالية المركز الامريكي ان السبيل الامثل لتجاوز ازمتها الداخلية تكمن في امتصاص الفوائض النفطية وتوظيفها في تامين حراك راسمالي تراكمي، ذلك ان قانون الراسمالية يعتمد المراكمة كشرط لازم لاستمرار النظام الراسمالي وصموده بوجه الازمات التي يمكن ان تعصف به من الداخل والخارج على حد سواء [٤١].

لذلك ظلت منطقة الشرق الاوسط ومنذ ذلك التاريخ حلقة اساسية في مشروع الولايات المتحدة للسيطرة على العالم برمته [٤٢]. ويرى الكثير من الباحثين ان الولايات المتحدة تتدخل اليوم عسكرياً من اجل تحقيق مصالحها الاقتصادية بالدرجة الاساس. فالعراق وافغانستان ينسجم احتلالهما مع نظرية جغرافية القوة التي نادى بها ماكيندر والتي تربط بين السيطرة على قلب العالم والسيطرة على كل العالم ربطاً عضوياً، فهما يقعان على خط القوة داخل اسيا وهما لا يوفران للاحتلال الامريكي قوة الامن العسكري والسياسي

[٣٩] فنسان الغريب –مصدر سبق ذكره ص٢٧١.

[٤٠] المصدر نفسه، ص٢٧١.

[٤١] د – محمد مراد –مصدر سبق ذكره ص٣٠٥.

[٤٢] فنسان االغريب –مصدر سبق ذكره ص٢٧٠.

الاستراتيجي فقط وانما قوة الامن الاقتصادي الاستراتيجي بفعل المخزون الهائل من النفط في بحر قزوين من جهة وفي شمال وجنوب العراق من جهة اخرى[٤٣].

ان سبب اهتمام الولايات المتحدة بنفط المنطقة يعود الى تزايد الحاجة الامريكية الى استهلاك الطاقة لا سيما وان عجزا تصاعدياً بدا يطبع ميزان النفط منذ مطالع السبعينيات من القرن الماضي (ينظر الجدول التالي). وان هناك ثلاثة عناوين رئيسة تجعل من منطقة الشرق الاوسط مرتكزاً جيو اقتصادياً بالغ الخطورة على الاقتصاد الامريكي ،هذه العناوين هي: اولا حماية الاقتصاد الامريكي من اي هزة قد يتعرض لها نتيجة انقطاع تدفق النفط اوحتى ارتفاع اسعاره بشكل كبير بسبب الطلب المتزايدعليه من قبل الصين واوربا واليابان ،ثانيا الحفاظ على مستوى ونمط الحياة في الولايات المتحدة القائمين على الاستهلاك الكثيف للطاقة ،وعدم تعريض هذا المستوى والنمط لاى تهديد مهما كانت الكلفة .وثالثا التحكم بأسعار النفط وتوزيعه، ومن ثم التحكم بعصب اقتصاديات الدول الصناعية المنافسة للولايات المتحدة كالصين واليابان واوربا او بمعنى اخر :حل المأزق الامريكي المتمثل بتراجع موقع الاقتصاد الامريكي عالميا من خلال استعمال ادوات الهيمنة الكونية بما فيها الوسائل العسكرية المتفوقة لديها وهو ما يرتبط بالمرتكز الجيوعسكري[٤٤].

جدول رقم (٢)

تطور العجز في ميزان النفط الامريكي (١٩٧١ –٢٠٣٠) (نسبة مئوية)[٤٥]

العام	٩٧١	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨٥	٢٠٠٤	٢٠١٥	٢٠٣٠
نسبة العجز%	%٢٦	%٣٧	%٤٣	%٥٨	%٦٤	%٦٩	%٧٤

الفصل الثاني– الادارة الامريكية الجديدة والشرق الاوسط.

كان من بين نتائج ادارة الرئيس السابق جورج دبليو بوش وحروبه في الشرق الاوسط هي تشتت الدور القيادي الامريكي وضياعه واحياناً عدم قبوله في المجتمع الدولي والذي اثر باكثر من اتجاه، كان اهمها .اولاً–انه حول الانتباه عن قضايا عالمية خطيرة يمكن ان تواجه دول العالم باسره، وكان يمكن ان تلعب فيها الولايات المتحدة دورا قيادياً ومحورياً مقبولاً ،واهم تلك القضايا موضوعي الاحتباس الحراري وما ينتج عنه من كوارث بيئية تطال معظم دول العالم، وموضوع انتشار اسلحة الدمار الشامل ممثلاً بامتلاك كوريا الشمالية وما يشاع عن المسعى الايراني في هذا الاتجاه، فضلاً عن قضايا كونية اخرى كحروب الابادة العرقية والازمات الدولية المتنقلة (افريقيا) وتعميق الهوة بين دول الشمال والجنوب، اذ لم تجد الادارة الامريكية السابقة الحلول المناسبة لاي منها بل فاقمت من حدتها .وثانياً – تزايد الاحساس بالخطر الذي تمثله سياسة الولايات المتحدة على امن العالم واستقراره من خلال متبنياتها الفكرية في تجاوز المجتمع الدولي واللجوء الى الحرب الاستباقية كتكليف ومهمة آلهية في سابقة خطيرة لتأكيد الاستثنائية الامريكية والاستخفاف بما يثير

[٤٣] د –محمد مراد – مصدر سبق ذكره ص١٧٥ –١٧٦.

[٤٤] فنسان الغريب، مصدر سبق ذكره، ص٢٧٢.

[٤٥] الجدول مأخوذ عن دمحمد مراد، مصدر سبق ذكره، ص٢٨٨.

قلق الاخرين، مما تسبب في تزايد الشعور بان الولايات المتحدة ابعد ما تكون عن الدولة الاعظم في رعاية القانون الدولي[٤٦]. وهي عندما تتدخل في شان دولي فان مآله الفساد ،ولهذا فهي دولة يمكن الاسغناء عنها في ادارة الشؤون الدولية[٤٧]. واذا اضفنا الى تلك المبررات والاسباب سواها من الاسباب الداخلية الاخرى وفي مقدمتها الازمة المالية وتزايد المديونية وما يستتبعهما من انتشار البطالة وافلاس الكثير من المصارف الرئيسة والشركات الكبيرة فضلاً عن تنامي الارهاب الداخلي في ما تم التعبير عنه في وثيقة الامن القومي لعام ٢٠١٠م لوجدنا ان ثمة حاجة حقيقية لتصحيح مسار الاستراتيجية الامريكية في اكثر من مجال، ويبدو جلياً ان اكثر المواضيع التي تناولتها الصفحات الاثنتان والخمسون من تلك الوثيقة هي العلاقة الامريكية مع العالم الاسلامي لا سيما شعوب ودول الشرق الاوسط وبعض القضايا الرئيسة الاخرى التي سنتناولها بشيئ من التفصيل، لذلك يصبح من الضروري للادارة الجديدة ان تكشف عن الكثير مما اخطأت به الادارة السابقة ويستحق ان توليه اهمية خاصة وفي مقدمة تلك الاخطاء ما ارتكب في اكثر المناطق حيوية للمصالح الامريكية، واعني تحديداً منطقة الشرق الاوسط . التي يمكن ان تكون فيها خطوات التغيير قادرة على دفع عجلة العلاقات الامريكية الشرق اوسطية الى فضاء ارحب مما تشهده اليوم لا سيما اذا اقترنت بنية صادقة بعيداً عن ممارسات الادارة السابقة وذلك من خلال التركيز على المحاور الآتية :-

المبحث الاول- التحولات المحتملة في استراتيجية الادارة الجديدة ازاء الشرق الاوسط من الممكن القول ان اكثر الهفوات التي ساقت الادارة الامريكية السابقة للسقوط في براثن الاعتقاد الخاطئ بالدور السلبي لبعض الاديان لا سيما الدين الاسلامي النظر اليه وفقاً لمدرسة صراع الحضارات على انه التحدي الخطير لحضارة الغرب ومنها الولايات المتحدة بشكل اساسي[٤٨].

كما ان الاستخفاف بدور الدين والثقافة الدينية في الشؤون الدولية هو الاخر الذي اوقع تلك الادارة في ما اسمته وزيرة الخارجية الامريكية السابقة كوندليزارايس بمئات الاخطاء التكتيكية سواء في العراق او افغانستان[٤٩].

واذا كان التحدي الاسلامي بالنسبة لمدرسة صراع الحضارات يكمن بالصدام ليس بين الاصولية الاسلامية ولا بين التطرف والغرب بل بين الاسلام نفسه والغرب فان هنالك البعض من المسلمين من يعتقد كذلك ايضاً انطلاقاً مما وصفه صقر الحوالي عميد كلية الدراسات الاسلامية في مكة بان الحرب على العراق هي حرب الغرب ضد الاسلام[٥٠].

---

[٤٦] بولس خلف- نحو عودة الحرب الباردة جريدة الاخبار بيروت -لبنان العدد ٢٥٨٥١ في ٧-٢-٢٠٠٧.

[٤٧] اندرو باسفيتش- مصدر سبق ذكره ص٢٧٧.

[٤٨] دوارد ب.دجيريجيان الخطر والفرصة -رحلة سفير امريكي فى الشرق الاوسط -ترجمةد-السيد عليوه دار الكتاب العربي-بيروت لبنان -٢٠٠٩ص٣٠١

[٤٩] كوندليزا رايس- وقعنا في عدة اخطاء في العراق انظر التصريح الكامل على الرابط
http://www.youm7.com/News.asp?NewsID=201515

[٥٠] صموئيل هنتنغون مصدر سبق ذكره -ص٤٠٤

يطرح هنتنغتون تصوره عن الاسلام بانه حضارة مختلفة عن الغرب والشعوب الاسلامية مقتنعة بتفوق ثقافتها الاسلامية ولكن هاجسها الوحيد ضآلة قوتها ومتى ما تمكنت من تجاوز تلك الضآلة فانها ستشكل اكبر الاخطار على الحضارة الغربية .

المشكلة الاساسية بالنسبة للاسلام هي ((ان المجتمعات الاسلامية مؤسسة على قيم غير تلك التي لدى الغرب)) [٥١].

وكما يعتقد صموئيل هنتنغتون المشكلة ليست الولايات المتحدة وقوتها العسكرية ولكنها الغرب والولايات المتحدة على حد سواء ،بما يمثلاه من حضارة مختلفة مع اقتناعهم بعالمية ثقافتهم المتماهية مع قوتهم المتفوقة التي تفرض عليهم التزاماً بنشر تلك الثقافة عالمياً متجاهلين تمسك الآخر بنوعية ثقافته وعالميتها ايضاً وهذه هي الجدلية التي تغذي الصراع بين الاسلام والغرب [٥٢]. ولغرض الوقوف على الاسس العامة لفكرة صراع الحضارات لابد من الاشارة بشيء من التفصيل الى الاسس الفكرية المعتمدة لتلك النظرية .

المطلب الاول – الاساس الفكري لمبدأ صراع الحضارات .

لم يكن مبدأ صراعات الحضارات حديثاً كما يشاع في الادبيات السياسية اليوم او مقترناً بمفكر غربي واحد دون سواه كما يعبر في الكثير من الكتابات المعاصرة عن تماهي هذا المبدأ مع ما اورده صموئيل هنتنغتون ومن قبله برنارد لويس من افكار، وانما هو قديم قدم الحضارات نفسها . ففكرة الصراع الاجتماعي هي التي اهدت الى علم الاجتماع وعلم السياسة قواعدهما المستنيرة في العقد الاجتماعي لدى هوبز ولوك ومونتسيكيو [٥٣].

لكن الجديد في مبدأ الصراع الحالي هو الانتقال بهذه الفكرة من التوظيف العلمي الوظيفي الرامي الى التوظيف السياسي الهابط، الذي يراد به ادامة التهديد وقبول فكرة سرمدية الصراع بين المجتمعات والحضارات الانسانية،فعلى حد قول هنري كيسنجر ان ما تحتاج اليه الولايات المتحدة الامريكية هو تهديد واضح معروف وايديولوجية معادية وان قضى انتهاء الحرب الباردة بزوال الخطر السوفيتي فان المهمة الان تتطلب احياء التهديد او اعادة خلقه بالقوة نفسها [٥٤] كما سبق كيسنجر بالاشارة الى الخطر الاسلامي المفكر الغربي برنارد لويس الذي استنتج في مقال له (ان الغرب يواجه حالة وحركة تتخطى بكثير مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تتابعها وهذا ليس اقل من صدام حضارات والذي ربما كان غير منطقي ولكنه بالتأكيد رد فعل تاريخي لتنافس قديم ضد تراثنا اليهودي المسيحي وحاضرنا العلماني وانتشار كل منهما على مستوى العالم، ومن المهم جدا اننا من جانبنا لا يجب ان نستثار الى رد فعل تاريخي ولا منطقي معادل ضد

---

[٥١] من كلام للشيخ الغنوشي نقلا عن صمويل هنتنغتون المصدر نفسه ص٣٤٦.

[٥٢] صمويل هنتنغتون – المصدر نفسه ص٣٥٢

[٥٣] د – احسان محمد الحسن –علم الاجتماع السياسي دار وائل للنشر الطبعة الثانية ٢٠٠٨ الاردن عمان ص–٤٠ –٤٨

[٥٤] نقلاً عن ا.د ناظم عبد الواحد الجاسور –المرجعية الفكرية للخطاب السياسي الامريكي مصدر سبق ذكره ص٤٠

ذلك المنافس)[٥٥]. وايا كانت الاختلافات بين المفكرين الا انها اعطت جميعاً للصراع الاسلامي الغربي بعده الحضاري الذي لا يتردد ايٌ منهم في القول بحتميته، تلك الحتمية التي تتماهى تماماً مع ما اتى به كارل ماركس في نظريته الصراعية التي توقفت عند الحدود النظرية ولم تفلح تجارب العالم الشيوعي التي امتدت لاكثر من سبعين عاما ان تحقق ولو جزءً يسيراً من النتائج النظرية المبهرة لتلك النظرية .

تتوزع نظرية هنتنغتون على محاور تكاد تقترب من المسلمات او البديهيات من وجهة نظره فهو يرى

١. ان الصراع بين الحضارات ياخذ شكلين:الاول– الصراع المحلي او الصغير اذ تحدث صراعات بين حدود التقسيم في دول الجوار المنتمية الى حضارات مختلفة وبين جماعات اخرى تنتمي الى حضارات مختلفة داخل دولة ما، كذلك فانها تحدث بين جماعات تحاول اقامة دول جديدة على انقاض الدول القديمة كما حدث في الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا السابقين صراعات خطوط التقسيم متفشية خاصة بين المسلمين وغير المسلمين[٥٦]. كما وتبقى حدود الاسلام دموية مثلما هي الاحشاء[٥٧].
٢. طالما ان الاسلام يظل كما هو وامكانية بقاء الغرب كما هو غير مؤكده ، فان الصراع الاساسي بين الحضارتين الكبيرتين واساليب كل منهما في الحياة سوف يستمر في تحديد علاقتهما بالمستقبل كما تم تحديدها على مدى الاربعة عشر قرناً السابقة، هذه العلاقات يزيد من تعكيرها عدد من القضايا الرئيسة من اهمها[٥٨].

أ. ان الغرب شارك في زرع اسرائيل في قلب العالم الاسلامي مما اوجد مسوغاً اسلاميا للصراع معه.

ب. العداء الاسلامي المتزايد للغرب يمكن مقارنته بالقلق الغربي المتزايد من الخطر الاسلامي وان الاسلام يمكن عده كمنافس كوني للغرب[٥٩].

ج. ثم ينطلق من فرضية ان المصدر الجوهري للصراعات في العالم لن يكون بالدرجة الاساس صراعا ايديولوجياً كما كان حاصلا بين الغرب والاتحاد السوفيتي او اقتصادياً كالصراع على مناطق الثروات الاساسية في العالم بل هو ثقافيٌ وتحديداً دينيٌ حضاريٌ[٦٠]. وكأنه ينزع الى القول بان بقاء التنوع الديني كفيل بحصول الصراع الدولي

---

[٥٥] نقلاً عن صامويل هنتنجتون –صدام الحضارات –اعادة صنع النظام العالمي –مصدر سبق ذكره ص٣٤٤.

[٥٦] صمويل هنتنجتون – المصدر نفسه ص٣٣٦.

[٥٧] المصدر نفسه ص ٤١٨.

[٥٨] المصدر نفسه ص٣٤٣.

[٥٩] المصدر نفسه ص٣٤٨.

[٦٠] ا.د ناظم عبد الواحد الجاسور المصدر السابق ذكره ص٣٦.

وان الضرورة تقتضي اذا ما اريد التخلص من الصراع ان نتخلص من التنوع الديني قبل ذلك .

وان الصراعات الرئيسة ستحدث بين الدول والمجتمعات المنتمية لحضارات مختلفة وستكون خطوط الصراع التي اسماها خطوط الصدع او التشقق هي خطوط معارك المستقبل. وهو يفترض كذلك ان الصراعات القادمة ستكون بين الحضارة الغربية والحضارات الاخرى على العكس من الصراعات السابقة التي حصلت داخل اطار الحضارة الغربية المسيحية ذاتها، وان اهم صراعات المستقبل هي تلك التي تحصل في خطوط الصدع بين الحضارات وخاصة مع الحضارتين الكونفوشيوسية والاسلامية ، لا سيما اذ استمر التدخل الغربي في شؤون تلك الحضارات ويمكن ان يكون المصدر الوحيد والاشد خطراً بالنسبة لعدم الاستقرار والصراع الكوني المحتمل في عالم متعدد الحضارات [٦١].

ثم ينطلق من فرضية اخرى مفادها ان العلاقات بين الاسلام والمسيحية كانت عاصفة غالباًفكلاهما كان نداً للآخر وكان الصراع بينهما مستمراً وعميقاً وسرمدياً. محركات الصراع عبر كثير من القرون هي التنافس وكانت خطوط العقيدتين تصعد وتهبط ،بفعل موجات الاكتساح العربي الاسلامي في اتجاه الخارج منذ بداية القرن السابع الى منتصف القرن الثامن الذي اقام حكما اسلاميا في شبه جزيرة ايبريا وشمال افريقيا وفارس وشمال الهند.فالاسلام هو الحضارة الوحيدة التي جعلت بقاء الغرب موضع شك دائم [٦٢]. ثم يتطرق الى القول ان ضعف الدولة القومية وانتفاء الدول الايديولوجية كمصدر للهوية يدفع بالدين الى الصدارة كهوية ذاتية عابرة للحدود السياسية والايديولوجية وعاملة على توحيد الحضارة ،خيار الاسلام بدلاً من القومية شهادة بقيمة الاسلام كآيديولوجية سياسية عابرة للحدود الجغرافية. لذلك لا لبيانات وزارة الدفاع الامريكية ان الولايات المتحدة شاركت غرابة وطبقاً في ١٧ عملية عسكرية في الشرق الاوسط كانت كلها موجهة ضد المسلمين ولم تحدث اي عملية من هذا النمط ضد اي شعب من حضارة اخرى [٦٣]. هذا الاعتقاد المعبر عن خطورة الديانات والثقافات غير الغربية وخاصةً الديانة الاسلامية هو الذي حدا بالولايات المتحدة ان تشارك وتقود طبقاً لبيانات وزارة الدفاع ١٧ عملية عسكرية في الشرق الاوسط كانت كلها موجهة ضد المسلمين ولم تحدث اي عملية من هذا النمط ضد اي شعب من حضارة اخرى هذا السلوك العدائي الدموي الغربي هو الذي أخذ ويأخذ حيزا واسعا في توجهات الدول الاسلامية ازاء المنظومة الغربية برمتها وهو الذي اوقع السياسات الامريكية تحديداً في اخطاء فادحة يصعب تجاوزها في المدى المنظور [٦٤]. ولقد اثبتت التجربة القصيرة لتعامل الولايات المتحدة مع العالم الاسلامي عن قلة تبصر الاخيرة وقصر نظرها ، ففي العالم العربي وفي معظم الدول الاسلامية تتشكل التصورات حول الولايات المتحدة ليس من خلال نظريات

[٦١] المصدر نفسه ص٣٣٨.

[٦٢] المصدر نفسه ص٤٠٣.

[٦٣] المصدر نفسه ص٣٥١.

[٦٤] ادوارد ب ود –جيريجيان –مصدر سبق ذكره ص٣٠١.

فاقدة للصواب كنظرية هننتنجتون او سواه بل من ثلاثة عناوين واقعية رئيسة الاول:- هو الدور الامريكي الداعم لاسرائيل منذ نشاتها ولحد الان وهذا الدور المتميز بالانحياز الواضح لا يجد له تفسيرا الا من زاوية الاستخفاف بالثوابت الدينية والتاريخية للامتين العربية والاسلامية لا سيما وان اسرائيل لن تكف عن البوح بان كيانها اليهودي ودولتها العبرية قائمان على العنصرية الدينية المرتكزة على انكار حقوق الاخرين ومقدساتهم الدينية وهو تعبير واضح عن وقاحة المشروع الصهيوني .

الثاني –دعم النظم الاستبدادية في المنطقة التي لا تقيم وزناً للمشاركة السياسية رغم ان الشعار الذي تتحدث عنه هو توسيع واشاعة نظم الحكم الديمقراطية ،وعندما تحقق الديمقراطية رغبة الاغلبية فان الولايات المتحدة تقف بالضد منها والوقوف بالضد من فوز الحركة الاسلامية حماس(٢٠٠٦م) تكريساً لمبدأ الانتقائية الديمقراطية التي تخدم المصالح الامريكية الثالث –عدم التفرقة بين القول والفعل فيما يتعلق بقبول الاسلام كديانة عظيمة اتسمت برسالة التسامح والاعتراف بالديانات الاخرى كاليهودية والمسيحية والديانات الكتابية على اختلافها ،وان عد الاسلام تهديدا للحضارات الاخرى نام عن عدم احترام لا للمسلمين ولا لمقدساتهم العقيدية، مما يزيد من كراهية المسلمين للغرب والولايات المتحدة على حد سواء، فعندما يقول بات روبرتسون لقد كان ادولف هتلر انساناً سيئاً لكن الاسوء منه هم المسلمون في تعاملهم مع اليهود [٦٥]. وعندما يشير الاب جيري فالويل في كلامه عن النبي محمد (ص) انه (ارهابي) [٦٦]. وعندما يقول الاب فرانكلين غراهام عن الاسلام انه دين شرير مثلما يقول ان المسيحية والاسلام يختلفان اختلاف النور عن الظلام [٦٧] فهم يعبرون عن اتجاه سائد في معظم الدول المسيحية وان السمة المميزة في الغرب هي عدم التمييز بين الاسلام كديانة وبين الحركات الاسلامية او المسلمين الذين يعادون الولايات المتحدة والغرب ويرفعون السلاح من اجل الاضرار بمصالحهما ،متكئين ليس على الاخطاء الفادحة التي تعاملت بها الولايات المتحدة والغرب في الكثير من قضايا المنطقة ومنها قضية احتلال البلدان الاسلامية بذرائع شتى كالحرب الاستباقية او سواها من المفاهيم الطارئة على الاعراف الدولية. وانما على ذات الحجج الهنتنجتونية التي سقناها في السطور السابقة .وتصبح النتيجة لكل ما تقدم ان الولايات المتحدة ستديم حرباً عالمية ليس على من تسميه ((الارهاب)) بل على الحضارات الاخرى المختلفة عنها، وعلى قاعدة من ليس معنا فهو ضدنا وهو امر لا نعتقد ان الولايات المتحدة او سواها من الدول الكبرى او العظمى تستطيع ان تنوء بحمله ولذا فهي مضطرة اما عن العزوف عن تلك التوجهات الخطيرة في العلاقات الدولية او ان تعيد النظر في تلك العلاقات وعلى قواعد جديدة قائمة على السلام والتآخي والمصالح المشتركة وهو ما نعتقد ان الادارة الجديدة عازمة على القيام به.

المطلب الثاني –جدل الصراع والحوار وتراجع الصراع لحساب الحوار والتحالف العالمي

[65] **dana millbank conservatives dispute bushs portrayal of islam as peasfull Washingtonpost–30november2002 p4.**
[66] **ibid-p4**
[67] **mark oke efe plans under way for Christianizing the enemy .newhouse.com 26-may 2003**

كان صعود نظرية صراع الحضارات اشبه بالاطروحة الاساسية في سياق السعي لتخطيط حضاري عالمي جديد[٦٨].

وعلى عكس كل الطروحات التي كانت سائدة في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي التي كانت تشير الى ضرورة ان تتعلم الحضارات بعضها من البعض الاخر وكيف تعيش جنباً الى جنب في علاقات سلمية متبادلة كي تثري حياة كل منها الأخرى[٦٩].

تأتي اطروحة هنتنغتون كي تكرس ولو مفاهيمياً انتهاء اطروحة الحوار والتحالف الحضاري وتعيد التأكيد على ان صدام الحضارات هو التهديد الاكبر للسلام العالمي وان الضمان الاكيد للانتصار الغربي على هذا التهديد يقوم على ركيزتين.

الاولى:-ان من الواجب الحفاظ على الحضارة الغربية ويجب ان تقوم الولايات المتحدة والدول الاوربية بالآتي[٧٠]:

١. ان تحقق تكاملاً سياسياً واقتصادياً وعسكرياً اكبر وتنسق بين سياساتها حتى تحول دون استغلال دول الحضارات الاخرى للاختلافات القائمة بينها .
٢. تدمج دول اوربا الوسطى واوربا الغربية في الاتحاد الاوربي والناتو وهي دول الفيزيجارد وجمهوريات البلطيق وسلوفينيا وكروتيا.
٣. تشجع تغريب امريكا اللاتينية وانحيازها الى الغرب بقدر المستطاع .
٤. تكبح القوة العسكرية التقليدية وغير التقليدية للدول الاسلامية والصين وتبطئ من عملية ابتعاد اليابان عن الغرب وتوجهها نحو التكامل مع الصين .
٥. تقبل ان تكون روسيا مركزاً للارثوذوكسية وقوة اقليمية رئيسة ذات مصالح مشروعة في امن حدودها الجنوبية .
٦. تحافظ على تفوقها التكنولوجي على الحضارات الاخرى

اما الركيزة الثانية- فهي ان المبادئ السياسية اساس غير مكين لبناء مجتمع يدوم وفي عالم متعدد الحضارات للثقافة فيه اهمية كبيرة ، ستكون الولايات المتحدة ببساطة هي آخر البقايا الشاذة لعالم غربي آفل كانت للايديولوجية فيه اهمية كبيرة وهو ينتهي الى فرضية ان رفض قانون الحضارة الغربية يعني نهاية الولايات المتحدة التي نعرفها ويعني كذلك بالفعل نهاية الحضارة الغربية[٧١]. وهو يحذر الولايات المتحدة

---

[٦٨] السيد ياسين – الحضارات بين الحوار والصراع والتحالف – جريدة الاصلاح – العراق – بغداد العدد ٣٩٦ الصادر في ١٧ آيار ٢٠١٠م.

[٦٩] صمويل هنتنغتون – صدام الحضارات –مصدرسبق ذكره – ٥٢٠.

[٧٠] المصدر نفسه ص٥٠٤.

[٧١] صمويل هنتنغتون –صدام الحضارات –مصدر سبق ذكره – ص٤٩٦.

من انها لو تخلت من اثر الغرب فان الغرب سيتم اختزاله الى اوربا وقليل من دول الاستيطان الاوربي الصغيرة في ما وراء البحار ،وبدون الولايات المتحدة يصبح الغرب جزءً صغيراً جداً ومنهاراً [٧٢].

ومعنى ذلك ان الحضارة الغربية في خطر لانها ستدخل مع الحضارتين الاسلامية والكونفوشيوسية في صراع وستكون الغلبة في النهاية للاسلام وللكونفوشيوسية ،وحول هذه الطروحات الخطيرة دار جدل علمي واسع وانتقد عدد من المفكرين في الغرب والشرق على السواء مسلماتها وفندوا تنبوآتها، بل واتهم صاحب النظرية بالعنصرية لانه ينظر في الواقع نظرة دونية للحضارات الاخرى غير الغربية .

كانت اولى الطروحات العلمية في مواجهة اطروحة هنتغنتون هي قبل ما يقارب من عقدين من الزمان والعالم ما زال في ذلك الوقت يتعامل بواقع ثنائي القطبية إلى حد ما،حين خرج المفكر الفرنسي روجيه جارودي على العالم أجمع بنظريته الرائدة ومشروعه للجمع بين الحضارات المختلفة على أساس أرضية مشتركة للتفاهم على مستوى شعوب الأرض وسماها بـ' حوار الحضارات ' لكن مشروعه كان يتسم بسمة أساسية ألا وهي النقد الشديد للهيمنة الغربية والسيطرة الأمريكية حتى أنه بشر من خلال نظريته بزوال الغرب عموما، لكن هذه الصيحة وأخواتها من جانب جارودي أو غيره من المفكرين والساسة الذين سعوا إلى وضع نظرية أو قاعدة تحكم وتفسر واقع المجتمع العالمي لم تجد الصدى اللائق بها في ذلك الوقت لواقع الصراع القائم والمسمى بالحرب الباردة بين قطبي العالم آنذاك ومع انهيار الاتحاد السوفييتي وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم بدأت نظريات أخرى بالصعود إلى السطح والظهور لتفسير كيفية تعامل القطب الأحادي مع العالم في ضوء الواقع الجديد [٧٣].

ومن هذه النظريات اطروحة الرئيس الايراني السابق محمد خاتمي التي اعلنها في خطابه امام الجمعية العامة للامم المتحدة في سبتمبر/أيلول ١٩٩٧ ، حيث رأى أن فكرة حوار الثقافات محاولة من أجل التفاهم بغية دحض التصادم. والتي دعى فيها لتحويل حوار الحضارات من مجرد فكرة يتداولها الفلاسفة والمؤرخون والعلماء الاجتماعيون الى سياسة ثقافية عالمية تتبناها الامم المتحدة ومما لا شك فيه ان هذه المبادرة جاءت متناسبة على الصعيد الدولي لانها قطعت الطريق عن الموجة العنصرية الغربية الجديدة [٧٤].

لاقت اطروحة خاتمي عن حوار الحضارات قبولاً واسع الانتشار بحيث تمت الموافقة على المبادرة بالاجماع ،وصدر قرار للامم المتحدة لا سابقة له، ففي الدورة الخامسة والخمسين للجمعية العامة للأمم المتحدةصدر القرار رقم (٢٣/٥٣/A/RES) المؤرخ في ١١ يناير ٢٠٠١، **حول** (سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات) [٧٥]، حيث تنشط الدول والمنتديات الثقافية الرسمية والاهلية لعقد مؤتمرات لمناقشة الموضوع وفي هذا السياق دعت هيئة اليونسكو الى مؤتمر دولي انعقد في فيلنوس عاصمة ليتوانيا في المدة

---

[٧٢] المصدر نفسه ص٤٩٦.

[٧٣] للتفاصيل انظر– http://faculty.ksu.edu.sa/shunyber/Pages/7eoar .

[٧٤] انظر نص المبادرة على الموقع ww w.themwl.org/subjects/default.aspx?d

[٧٥] المصدر نفسه –www.themwl.org/subjects/default.aspx?d

من ٢٣الى ٢٧ ابريل ٢٠٠١م[٧٦]. وتطور الابداع الفكري في مجال التخطيط الحضاري العالمي الذي شاركت فيه دول شتى ومفكرون من كافة الدول لكي ينتقل العالم من اطروحة صراع الحضارات الى الاطروحة المضادة وهي حوار الحضارات لكي يستقر اخيراً على الاطروحة الثالثة التي هي التركيب بين الاطروحة الاولى والثانية لتصل الى نظرية تحالف الحضارات،لقد قامت مبادرة حوار الحضارات في سياق تاريخي يسوده الشك والريبة ففي خضم الحوار تم توجيه ضربة في ٢٠٠١/٩/١١ الى البرجيين الامريكيين مما ادى الى تراجع مفهوم الحوار لصالح التأكيد على (صوابية) فكرة الصراع وكان عنوان الحملة على افغانستان هو بداية لحرب صليبية ضد المسلمين مثلما اسماها الرئيس الامريكي السابق (الآن بدأت الحرب الصليبية) التي لم تنته بكابول بل امتدت في ٩-٤-٢٠٠٣ م الى بغداد تاكيداً على ان الولايات المتحدة تخوض حرباً على الاسلام وليس على الارهاب على وفق نظرية الصراع الفاقدة للصواب ، لكن الجهود الدولية لم تتوقف عند لحظة تاريخية بعينها وانما استمرت لاطلاق الحملة الدولية الثالثة التي بدأها ثاباتيرو رئيس وزراء اسبانيا ورجب طيب اوردوغان رئيس وزراء تركيا وذلك في الاجتماع التاسع والخمسين للجمعية العامة للامم المتحدة عام ٢٠٠٥ وسعت المبادرة الى تفعيل الجهود الدولية لمواجهة التطرف وذلك بتنظيم حوارات ثقافية عالمية وكذلك حوارات بين الاديان والهدف الرئيس للمبادرة هو اذابة التوترات بين العالم الغربي والعالم الاسلامي اثر احداث ايلول الدامية[٧٧]. ومعنى ذلك ان التخطيط الحضاري العالمي تتمثل مسيرته في ثلاث لحظات تأريخية فارقة هي الصراع والحوار والتحالف .من هنا يمكن القول ان مبادرة حوار الحضارات قد حلت بديلاً واقعياً للدعوة في اطار التخطيط الحضاري العالمي لقيم انسانية جديدة ابرزها الوسائل الديبلوماسية لحل الصراعات الدولية ونبذ اساليب الحلول الاخرى المبنية على قاعدة الصراع ومن ثم فان الادارة الامريكية الجديدة قد آثرت اللجوء الى الحلول السياسية بعد ان ادركت خطورة المنزلاقات التي ارستها اطروحة الصراع وادركت كذلك فوائد الحوار والتحالف الدولي بوجه الازمات التي تواجه العالم . ففي ١٣-٥-٢٠١٠حلّ الإمام أحمد سالم ولد الشيخ جعفر بالولايات المتحدة ضيفاً بدعوة من وزارة الخارجية الأمريكية لمناقشة مسألة التسامح في إطار حوار أشمل بين الأديان. وفي ١٣ شباط فبراير شاركت هيلاري **كلينتون** في منتدى الدوحة لحوار الاديان لتأكد ان الولايات المتحدة يحدوها الامل بعالم متسامح وليس عالم صراع[٧٨]. وكل ذلك يمثل دالة من دلالات التحول الاستراتيجي الامريكي الشرق اوسطي.

المطلب الثالث –انتفاء جدلية الترابط بين الارهاب والاسلام في توجهات الادارة الجديدة.

[٧٦] **السيد ياسين – مصدر سبق ذكره.**

[٧٧] **المغاربية –امام موريتاني مرموق يزور الولايات المتحدة في سياق الحوار بين الاديان -١٣-٥-٢٠١٠**

[٧٨] **انظر تفاصيل الزيارة على الرابط...www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid**

رغم ان الارهاب لم تكن له نظرية عامة او سيكولوجيا عامة او حتى سببية عامة وانه ارتبط تأريخيا وللمرة الاولى بطائفة الاحامس[*] في عام ٦٦-٧٣ ميلادية [٧٩] مروراً بالثورة الفرنسية وتحديداً في العام ١٧٩٤ للاشارة الى استخدام الحكومات للارهاب ضد سكانها ،وبهذا المعنى ايضاً استخدمه ليون تروتسكي حين كان مفوض الحرب في الحكومة البلشفية بعد عام ١٩١٧ لتبرير استخدام العنف السياسي ضد اعداء الدولة [٨٠]. الا ان الادارة الامريكية السابقةكانت قد ربطت ربطاً جدلياً بين الاسلام والارهاب مثلما ورد في وثيقة الامن القومي الامريكي لعام ٢٠٠٦ ((يشكل الصراع ضد الراديكالية الإسلامية المستخدمة للعنف النزاع الإيديولوجي العظيم في أوائل القرن الحادي والعشرين،)) [٨١]. وكانت تلك الرؤية قد استمدت مقوماتها من اساسين :-

الاول- ما يسند من اعمال ارهابية تستهدف المواطنين العزل مثلما تستهدف المصالح الامريكية في شتى انحاء العالم وغالباً ما تقوم الجماعات الاسلامية المتطرفة وخاصة تنظيم القاعدة بذلك.ونظراً لكون التنظيم يسند افعاله القتالية الى مفهوم الجهاد فقد عُدت حدود الاسلام دموية بوصف هنتنغتون او سواه من المرجعيات الفكرية التي ساهمت في صياغة الخطاب الاستراتيجي الامريكي دون ان يقدموا تفسيراً واضحاً وصائباً لمن يتحمل المسؤولية عن هذه الدموية،هل الاسلام كديانة ام البعض من المسلمين الذين ينسبون اعمالهم الى الاسلام شأنهم في ذلك شأن آخرين من متطرفي الديانات الاخرى؟ [٨٢].

صحيح ان في بعض الحالات تقع المسؤلية فيها على عاتق مسلمين متطرفين ولكن في بعضها الاخر ليس كذلك فهي في البوسنة وكوسوفو وفلسطين وكشمير لا تقع على عاتق المسلمين بل على سواهم من اصحاب الديانات الاخرى، وعلى وفق هذه الجدلية لا بد من الاقرار اما بفكرة دموية الديانات جميعاً او بخطأ النظرة الى الاسلام بوصفه ديناً ارهابياً.

اما الاساس الثاني- فهو ما ينسحب عن المقوم السابق في الاتكاء على ورود ايات في القران الكريم تشير الى الارهاب بوصفه عملاً من اعمال العنف والايات التي ورد فيها الارهاب هي ثمان كلها كانت تحث المسلمين على الخشية من الله في ما يقومون به من اعمال باستثناء الاية الكريمة (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة .....الى آخر الآية الكريمة) [٨٣] التي عنت الاستعداد للحرب كجزء من التعبئة المجتمعية لدرء الاخطار ورغم كل ذلك غالباًما تبقى معاني الكلمات متغيرة كما هي دلالاتها التفسيرية .

---

[*] الاحامس -طائفة يهودية ظهرت في القرن الاول الميلادي وحاربت حكم الروم في فلسطين -نقلاً عن عمر الايوبي في كتاب التفرد الامريكي - مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٤.

[79] qrant wardlaw .political terrorism(cambridq university press 1989.p.18.

[٨٠] فريد هاليداي -الامة والدين في الشرق الاوسط-ترجمة عبد الاله النعيمي -دار الساقي ط١ -٢٠٠٠ ص٧٦.

[٨١] للتفاصيل انظر نص الوثيقة المنشور على الرابط

http://www.annabaa. org/nbanews/55/165.htm

[٨٢] فريد هاليداي -المصدر نفسه ص٨٣.

[٨٣] سورة الانفال الاية السادسة عشر.

ان تطور ربط الاسلام بالارهاب تستدعي مناقشة محورين اساسيين الاول – هوان العنف الذي تمارسه الجماعات الانسانية ليس خاصاً بالجماعات الاسلامية فالمسيحيون واليهود والبوذيون كلهم يستحضرون الدين لدى استخدامهم العنف المسلح فالحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت في ايرلندا استخدمت الدين لتبرير جرائمها الانسانية ، وفي اسرائيل دعت جماعات يهودية الى ممارسة العنف من جانب الدولة الاسرائيلية وزعم باروخ غولدشتاين بقتله ٢٩ فلسطينياً في الخليل عام ١٩٩٤ انه يؤدي عمل الله[٨٤].

اما المحور الثاني – فمن العبث البحث في نصوص اي دين لتفسير العنف، ذلك ان النصوص الدينية قابلة للقراءة باتجاهين الاول النزعة المسالمة مثلما هي كذلك في نزعة العنف وفي مماهات الاسلام بالارهاب هناك اساءة استخدام لمصطلح الارهاب من اجل اغراض سياسية سجالية، من جهة ولنزع الشرعية عن اعمال جماعات سياسية سواءً في فلسطين او سواها، ولقصر النقاش عن الارهاب على الدول الاسلامية وحدها، وقد شهد الشرق الاوسط اعمالاً ارهابية مارستها دول عظمى كالولايات المتحدة ضد السودان والصومال وليبيا والعراق وصغرى كاسرائيل ضد الشعب الفلسطيني والجنوب اللبناني.

تبقى النتيجة النهائية هي انه من المؤكد ان مصطلح الارهاب قد اوجد له معاني مختلفة ولكن من المهم في اي تقويم ان لايغيب عن الانظار مستويين من الارهاب:-الاول هو الارهاب الفوقي بمعنى الارهاب الذي تمارسه الدول سواءً على رعاياها او على رعايا دول اخرى كما اوضحنا ، اما الثاني فهو الارهاب التحتي الذي ياتي كرد فعل على الارهاب الفوقي ومن ثم فان عملية الفرز بين النوعين تتطلب معايير نوعية وموضوعية وليس قراءات فكرية تفتقد الصواب[٨٥].

ان الولايات المتحدة كانت السباقة الى ممارسة ارهاب الدولة وبوصف المؤرخ ارنو ماير في اعقاب احداث ١١ ايلول مباشرة ان الولايات المتحدة ومنذ عام ١٩٤٧ كانت هي المرتكب الاكبر لارهاب الدولة الاستباقي وعدد لا يحصى من الاعمال المارقة الاخرى موقعةً ضرراً جسيماً ودائماً باسم الديمقراطية والحرية والعدالة[٨٦].

لقد ادرك المجتمع الدولي ان حجم الارهاب الذي مارسته الولايات المتحدة واسرائيل على شعوب العالم الاسلامي قد وصل الى مستوى خطير وخاصة الجرائم التي ارتكبت في العراق وافغانستان كما في فلسطين ولبنان مما استدعى حصول عمليات عنف مقابل في اغلب بلدان العالم وخاصة تلك المتعاونة مع الولايات المتحدة، ومن ثم فقد تطلب ذلك مراجعة موضوعية لتلافي شيوع ظاهرةعدم الاستقرارالدولي واعادة النظر في مجمل الدوافع التي تقف وراء تصاعد حدة التناقض بين الولايات المتحدة والغرب من جانب وبين العالم الاسلامي من جانب آخرالامر الذي ادركت مخاطره الادارة الامريكية الجديدة في ظل العجز الحقيقي

---

[٨٤] الفريد هاليداي –مصدر سبق ذكره ص٨٢.

[٨٥] المصدر نفسه ص٨٨.

[٨٦] نعوم تشومسكي –الدول الفاشلة –اساءة استعمال القوة والتعدي على الديمقراطية ترجمة سامي الكعكي –دار الكتاب العربي –بيروت –لبنان – ٢٠٠٧ ص١٣٦.

وعدم القدرة في الحفاظ على امن وطني امريكي راسخ وحقيقي، فبادرت الى وضع اطارً ستراتيجي للتعامل مع الارهاب بوصفه ظاهرة عالمية لا يمكن ان تتعلق بديانة دون سواها وقد بان ذلك بشكل جلي في ما اتت به وثيقة إستراتيجية الأمن القومي لعام ٢٠١٠، بوصفها أحدث بصمة يضعها الرئيس أوباما على سياسته الخارجية ، وللحد من المواقف المتطرفة التي كانت تصر عليها الادارة الامريكية السابقة.

ففي ٢٧ مايو/أيار ٢٠١٠، تمّ إعلان وثيقة الأمن القومي الأميركي الجديدة (National Security Strategy) ،وقد جاءت رداً على فشل إدارة بوش في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية وغرقها في حروب أفغانستان والعراق، وبعد الأزمة المالية العالمية، وهي بهذا المعنى تعد محاولة للخروج من الازمات التي خلفتها إدارة المحافظين الجدد [٨٧].

وقد اثارت الوثيقة جدلاً واسعاً في الوسط السياسي الأميركي بين من يرى انها مجرد حملة علاقات عامة تعكس سذاجة رؤية أوباما وتوجهه الذي يؤدي إلى تقهقر قوة أميركا وتراجع مركزها العالمي، وبين آخرين يرون أنها تعطي الانطباع الإيجابي المطلوب لكونها تغييراً دراماتيكياً عما طرحته إدارة بوش وتخدم مصالح أميركا وهي إيذانً بنهاية عصروبداية عصر آخر ،ملامحه الاساسية اقامة علاقات جديدة مع العالم الإسلام على غرار ما ابتدء بطرحه في خطاب التنصيب .

ملمح التغير الاول حذف الرئيس الامريكي باراك اوباما مصطلحات "الجهاد" و"التطرف" من وثيقةالأمن القومي الأمريكي الجديدة في خطوة تعد أهم تغيير في عقيدة الأمن القومي الأمريكي، التي تمت إعادة صياغتها على ضوء المعطيات على الساحتين السياسية والامنية ، ولغرض التأكيد على أن الولايات المتحدة لا تنظر إلى الدول الإسلامية من منظور الإرهاب.

و يُعدُّ هذا أهم تحول في إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي الجديدة، عن "عقيدة الحرب الاستباقية الوقائية" للادارة السابقة [٨٨]. التي أسست كل علاقتها مع العالم الإسلامي على أساس محاربة الإرهاب وكسب حرب الأفكار.

إن مراجعة إستراتيجية الأمن القومي، تُعدُّ جزءاً من جهود أكبر تحدث عنها البيت الأبيض، تسعى ليس فقط إلى تغيير الطريقة التي تتحدث بها الولايات المتحدة إلى العالم الإسلامي، لكن الى تغييرالموضوعات التي يجب أن يركز عليها الجانبان، من الرعاية الصحية والعلوم إلى التعليم والمشروعات المشتركة ،و إن هذا التغيير في التوجه نحو العالم الإسلامي كان يتم التحضير له خلال عام كامل منذ وعد أوباما في خطاب القاهرة، بـ" بداية جديدة" في علاقة الولايات المتحدة مع العالم الاسلامي [٨٩].

---

[٨٧] للاطلاع على بعض مفردات الوثيقة انظر :-
http://www.maktoobblog.com/redirectLink.php?link=http%3A%2F%2Fwww.aljazeera.net

[٨٨] للتفاصيل انظر نص الوثيقة المنشور على الرابط
http://www.annabaa.org/nbanews/55/165.htm

[٨٩] انظر تفاصيل الخطاب في جامعة القاهرة المنشور على الرابط :-
http://www.youtube.com/watch?v=zhwVZAhURWA

الخاتمة والاستنتاجات

من المآثر المهمة التي تركها عالم الطبيعيات المعروف تشارلز داروين في كتابه اصل الانواع القول ان (ليس الاقوى من كل نوع هو الذي يبقى ولا الاذكى، بل هو الاكثر تاقلماً مع التغيير).

هذه الماثرة تتماهى مع ما ذهبت اليه امريكا في الاعتماد على سياسة القوة حين وضعت نفسها بين الحرب على الارهاب(الحرب الاستباقية) وبين متطلبات القواعد القانونية الدولية في ادارة العلاقات الدولية وجعلت من الحرب على الارهاب حرباً عالمية رابعة، الا انها لم تنجح مطلقاً لا في التكيف مع متطلبات التغيير في البيئة الدولية التي انتجت الارهاب ، ولا في ايجاد حل لاي من التهديدات الكبرى التي تواجهها .

وهو ما يؤكد ايضاً صحة ما ذهب اليه نابليون بونابرت بعد ان عجزت قواته عن تحقيق نصر نهائي في اوربا بالقول(انني اعجب اشد العجب عن عجز القوة في الاتيان بنصر حاسم).

وماذهب اليه ايضاً مستشار الامن القومي ووزير الخارجية الامريكية الاسبق هنري كيسنجر بالتاكيد على (ان القوة قد تقهر العالم لكنها لا تضفي الشرعية على نفسها).

لذا كان انتهاج الادارة الامريكية الجديدة لاستراتيجية بديلة اكثر توازناً في المناطق الاستراتيجية الكبرى امراً ملحاً وضرورياً وصحيحاً لمعالجة فشل التمرد الجيوسياسي الذي احدثته سياسة الادارة الامريكية السابقة في اغلب مناطق العالم، ولكنه لحد الآن انتهاجً خجولً ومترددً كما انه ليس حاسماً مثلما تتطلبه المرحلة .

التمرد الجيوسياسيي يبدو واضحاً في الكثير من مناطق العالم المختلفة ،فاذا كان الشرق الاوسط يمكن استيعابه عسكرياً وهو الافتراض الذي اثبت عقمه في تجربتي افغانستان والعراق فان دولاً اسلامية اخرى لا يمكن استيعابها عسكرياًبشكل مطلق ، كما ان دول الاتحاد الاوربي لا تستطيع بث الاستقرار في جزئها الغربي لانها شاطرت الولايات المتحدة مظالمها الشرق اوسطية وطموحاتها اللاشرعية في بعض مناطق العالم المختلفة ،كذلك فان امريكا الجنوبية الكارهة لسياسية الولايات المتحدة تشاطر الدول العربية والشرق اوسطية رفضها الهيمنة الامريكية .

وفي ظل تلك الظروف الدولية كان تحرك الولايات المتحدة في كثير من الاحيان بمفردها امراً لا يليق بتاريخها السياسي والاخلاقي كما انه لا يستطيع تحقيق طموحاتها الدولية ، ولن يصلح الامر ما تدعيه من تحويل بعض دول الشرق الاوسط الى دول ديمقراطية دون الموارد اللازمة لذلك .

فالمغامرة الفاشلة في العراق التي كلفت اكثر من ثلاثة تريليون دولار [*] وافضت الى انسحاب امريكي مزرٍ قبل ان تحقق ما وعدت به العالم من تحويل العراق الى نموذج ديمقراطي شرق اوسطي متميز تدل على عدم الوفاء الذي لا يليق بموقع امريكا العالمي وان عدم الوفاء هذا يشير الى حقيقة مفادها ان

---

[*]لمزيد من التفاصيل –انظر –جوزيف ستيغلتز وليندا بيلمر –حرب الثلاثة تريليونات دولار –الكلفة الحقيقية لحرب العراق –– ترجمة سامي الكعكي – دار الكتاب العربي بيروت لبنان ٢٠٠٩

التمدد الامبريالي المفرط قد انتهى وللمرة الاولى في التاريخ الحديث الى العزوف الجزئي لبعض قطاعات الاقتصاد العالمي عن الارتكاز لعملة احتياطية اساسية في العالم هي عملة دولة مَدينة لمنافسيها(الصين) مثلاً وعاجزة عن الايفاء بتعهداتها الدولية الاخلاقية واذا ما استمر الاقتصاد الامريكي بازمته المالية الحالية فربما سيكون هناك عزوف عالمي اقتصادي كلي.

وهنا ننتهي الى ما تنتهى اليه دائماً الحقائق العلمية الكبرى وهي ان لم يكن هناك تقسيم جديد للمهام الدولية تشترك فيه القوى الكونية الرئيسة ،فسوف تتضاءل قوة امريكا ومن خلفها المؤسسات الغربية وسيحصل تنافس جيوسياسي جديد، وان لم تستطع الولايات المتحدة الصمود بوجه هذا التنافس فانها ستجعل من التاريخ الذي احتلت فيه المرتبة الدولية الاولى جزءاً من الماضي وشيئا خلف ظهرها .

لقد اظهر الامريكيون خوفاً من المستقبل الخوف المتماهي مع فشلهم في العراق وافغانستالن ومستقبل ايران النووي والعجز عن وضع حد لنشاط المنظمات الجهادية في لبنان وفلسطين تجليات الخوف الامريكي كما الخوف الاسرائيلي يمكن ملاحظته في موضوعتين اساسيتين.

الاولى التخلي الامريكي عن ربط الاسلام بالارهاب وهو ما اتت به وثيقة الامن القومي الامريكي لعام ٢٠١٠م واقتصار مفهوم الحرب العالمية على الارهاب الى حرب على منظمة ارهابية واحدة هي (القاعدة) مثلما تم التخلي عن فكرة الحرب الاستباقية او عقيدة بوش الاستباقية انطلاقاً من ان فشلها في اضعف دولتين اسلاميتين لا يوفر لها النجاح في دول شرق اوسطية اسلامية قوية .

الثانية– وهي ما احدثته حرب الثلاث والثلاثين يوماً على لبنان صيف عام ٢٠٠٦م والنتائج التي انتهت اليها تلك الحرب من عدم قدرة الدولة الاعظم على مساعدة اسرائيل في الخروج كما المرات السابقة بنتائج عسكرية او امنية تذكر وهي المرة الاولى التي يتعرض فيها الامن الوطني الاسرائيلي الى هزة عنيفة اقتضت مراجعة جادة لاستراتيجية الامن الاسرائيلي مما اضطرها للعودة والتوسل بفتح ملف المفاوضات مع الفلسطينيين على قاعدة حل الدولتين في محاولة لتحقيق امن اسرائيلي راسخ بعد تفاقم التهديدات الجدية محلية كانت او اقليمية وهو ما ينبغي ان يدركه المفاوض الفلسطيني ذلك انه يمتلك اوراق اللعبة باكملها .

وفي النهاية فان الولايات المتحدة ستكون مضطرة على ما يبدو الى انهاء تواجدها العسكري المباشر في منطقة الشرق الاوسط نظراً للكلفة الباهظة اقتصادياً وبشرياً واستبداله باقامة ترتيبات امنية وسياسية ربما تفضي الى تحقيق قدر معقول من المصالح الامريكية المتوازنة مع مصالح دول الشرق الاوسط ، وهي ستتخلى تدريجياً عن الخدمة المجانية لاعالة اسرائيل وتحقيق امنها وضمان تفوقها الاقليمي نظراً للعجز الاقتصادي الذي تعانيه والمديونية الاقتصادية الكبيرة والمتزايدة ، والا فانها ستدخل لا محال النفق التراتيبي لانهيار الامبراطوريات كما يذكر ارنولد توينبي في دورته التاريخية .